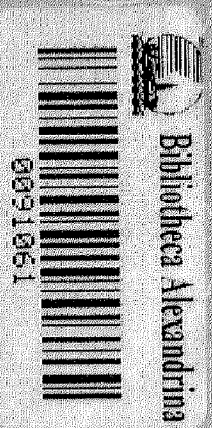
تأليف: محمد مظاهري

الإنسان وعالم البرزخ





دار الرسول الأكرم (ص)

دار المحجة البيضاء



الانسان وعالم البرزخ



الانسان وعالم البرزخ

تأليف: محمد مظاهري

تعريب: السيد باسم الهاشمي

دار الرسول الأكرم «ص»

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م



دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٤٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

كان لزياراتي المتعددة لمجالس الشهداء ومجالس الترحيم للأحداث وسماع الكثير من أسئلة الناس أن أحسست أن كثيراً منهم لا يملك وضوحاً في بعض المسائل المتعلّقة بالأموات، من قبيل: فائدة الخيرات والصدقات لهم، وأثرها في عالم البرزخ، وهل أنها تنفعهم فيه أو في يوم القيامة فقط؟ وهل أن الأموات يعرفون من يهدي إليهم الخيرات والصدقات؟ وعشرات الأسئلة الأخرى في هذا الموضوع، في حين أن معرفة هذه الأمور لها أثر كبير على الأموات وعلى العاملين لهم، وكم من إنسان يموت وهو من أهل جهنم فيكون بحاجة إلى الخيرات والصدقات، أو إنسان عاق مثلاً يعيش في الحياة وقد توفي والداه فيرسل لهم الخيرات وبأثر ذلك تحسن عاقبته، ويرضىٰ عنه الله عز وجل.

ولهذا عقدت العزم على جمع وتسجيل ما أحكت من معلومات حول الإنسان في عالم البرزخ لأضعها بين يدي المهتمّين بهذا الموضوع، وأحاول أن أسدّ ثغرة في ثقافتنا الاجتماعية الإسلامية.

وقبل الشروع في هذا الموضوع أحب أن أذكر المهتمين به ببعض الملاحظات:

١ ـ إن مواضيع هذا الكتاب قُسّمت إلى قسمين: القسم الأول يكون على أحد عشر فصلاً، والقسم الثاني على عشرة فصول، وللاطلاع أكثر يراجع الفهرست.

٢ ـ باعتبار أن الأمور المتعلّقة بعالم البرزخ تُعدّ أموراً غيبية كعالم القيامة، لذا لا يمكن لأي أحدٍ أن يتحدّث عنهما بعلمه الطبيعي فيخبرنا بأحوالهما وصفاتهما وما يكون فيهما، ولا يستطيع ذلك إلا الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام بما لديهم من مصدر علم إلهي، ووحي وإخبارٍ بعالم الغيب، ولذا سوف يكون مصدر كل ما يرد في هذا الكتاب هو روايات النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام التي دُوّنت في كتب الأحاديث.

٣ ـ ذكرنا بما يناسب الأحاديث المبحوثة في هذا الكتاب بعض الرؤىٰ الصادقة التي تؤيد ما ورد فيها لتكون هذه المنامات مصاديق للمفاهيم التي وردت في الروايات الشريفة، وفي ذلك مزيداً من الوضوح للقراء الأعزاء.

٤ ـ يعتقد الكثيرون أن الرؤيا هي خيالات محضة وباطلة تنشغل بها الروح في أثناء النوم دون أن يكون لها أي حظٍ من الحقيقة والواقع، وليس لها أي أثرٍ في حياة الإنسان، وهم بذلك قد غفلوا عمّا ورد من أن الرؤيا بحسب روايات أهل البيت عليهم السلام ثلاثة أقسام، قسم منها الرؤيا الصادقة، وهي حقيقية يمكن الاستفادة منها في الحياة البشرية، ولهذا قدمنا في بداية الكتاب بعض المسائل المتعلّقة بالرؤيا من قبيل: حقيقة الرؤيا، وسبب حدوثها، وأنواعها، وطبيعة الرؤيا الصادقة، وشروط صحّتها، وطريقة تأويلها، لكي لا يقول البعض أن المؤلف اعتمد في تثبيت جوانب بحثه على بعض الرؤىٰ ليصل إلى نتائج ليس لها دليل.

الرؤيا حقيقة

يمكن أن يتصور أن كل ما يشاهده الإنسان في عالم الرؤيا هي أمور

نشأت من أحداث يعاصرها ويشاهدها الإنسان في نهاره فيراها في الليل، وتنشغل بها روحه في المنام، في حين أن الحكماء يقولون:

إن النوم هو اتصال بين روح الإنسان وعالم الغيب ما فوق الطبيعة، وكشف للغيب[١].

ونحن نرى أن كثيراً من الرؤىٰ تحمل صفات الحقيقة والواقعية الكاملة بما لا يمكن إنكاره، وكثيراً منها يكشف لنا أموراً مستقبليّة بدون شكٍّ أو ترديد.

ذكر المرحوم الكليني في كتاب الكافي عن الرضا عليه السلام أنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أصبح قال لأصحابه: هل من مبشّرات، يعني به الرؤيا»[٢].

وذكر أيضاً عن الباقر عليه السلام أنه قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله في قول الله عز وجل: ﴿**لهم البشرى في الحياة الدنيا**﴾ قال: «هي الرؤيا الحسنة يرى المؤمن فيُبشّر بها في دنياه»[٣].

وهكذا نرى في الحديثين أن الرؤىٰ الصادقة هي مبشّرات كما في الحديث الأول، وفي الحديث الثاني فسّر رسول الله صلى الله عليه وآله الآية من سورة يونس أنها في الرؤيا، وهذا يدلّ على أن بعض الرؤىٰ لها حقيقة واقعة لا أن جميع الرؤىٰ خيالات باطلة.

علة حدوث الرؤيا

لعل أكثر الناس يعتقد أن ظاهرة الرؤيا في حياة الإنسان هي انعكاس

---

(١) الحكمة الإلهية ص = ١٦٦.

(٢) الكافي جزء ٨ ص = ٩٠ الحديث ٥٩.

(٣) الكافي جزء ٨ ص = ٩٠ الحديث ٦٠.

لوجوده وصفاته وشؤونه الحياتية، وأنها وجدت منذ أن خلق الله عز وجل آدم عليه السلام أبا البشر واستمرّت معه على مرّ التاريخ في حين أن المستفاد من كلمات وأقوال الأئمة المعصومين سلام الله عليهم خلاف ذلك، فنقرأ ما ورد في حديث شريف في تفسير نور الثقلين حيث يقول:

«روضة الكافي: عن بعض أصحابنا، عن علي بن العباس، عن الحسن بن عبد الرحمان عن أبي الحسن(ع) قال: إن الأحلام لم تكن فيما مضى من أول الخلق، وإنما حدثت.

فقلت: وما العلّة في ذلك؟

فقال (ع): إن الله عز ذكره بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته، فقالوا: إن فعلنا ذلك، فما لنا؟ فوالله ما أنت بأكثرنا مالاً ولا بأعزّنا عشيرة.

فقال: إن أطعتموني أدخلكم الله الجنّة، وإن عصيتم أدخلكم الله النار.

فقالوا: وما الجنّة والنار؟.

فوصف لهم ذلك، فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟.

فقال: إذا متّم.

فقالوا: لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً! فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فأحدث الله عز وجل فيهم الأحلام، فأتوه فاخبروه بما رأوا، وما أنكروا من ذلك فقال(ع): «إن الله عز وجل أراد أن يحتج عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متّم، وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتى تُبعث الأبدان»[1].

نلاحظ في هذا الحديث عدة أمور:

(١) تفسير نور الثقلين ج٢ ص ٤١٠ حديث ١٥.

١ ـ على الرغم من أن علي بن العباس الجرازيني الرازي قد ورد في سند هذا الحديث وهو رجل يقول عنه علماء الرجال أنه من أهل الغلو وضعّفوا أخباره ورواياته إلا أن غلوّه لا أثر له في موضوع هذا الحديث، وهو لم يوصف بالكذّاب، ولذا يعتبر سند هذا الحديث مقبولاً.

٢ ـ لعل هناك من يستبعد ما ورد في هذا الحديث فيقول: كيف أن الرؤيا ترافق الإنسان منذ أول عهد وجوده مع أنها أمرٌ طبيعيٌ، فهو عندما ينام تذهب روحه خارجاً عن بدنه في عالم الغيب فترى ما تراه في عالم الرؤيا، وبالتالي تكون الرؤيا منذ بداية وجوده على الأرض وحياته؟.

وجواب ذلك أننا كثيراً ما ننام وتخرج أرواحنا إلى عالمها الآخر دون أن نرىٰ أية رؤيا، وأحياناً تكون الرؤيا للحظات قليلة من فترة نومنا، فنرىٰ فيها شخصاً أو حدثاً سريعاً دون أن يستغرق ذلك كل فترة خروج روحنا إلى عالم الغيب.

٣ ـ يكشف لنا هذا الحديث عن حقيقة جليّة وهي أن الله عز وجل جعل الرؤيا تنبيهاً لعباده، وهداية، فقد عرفوا من خلالها أن الروح الإنسانية وإن كان عند خروجها من البدن يحصل لها فناء وغياب إلا أنها ستبقىٰ وتستمر في الحياة في عالم آخر، فوجود الإنسان إذاً يتكون من وجود مادي ووجود روحي.

أنواع الرؤىٰ

قُسّمت الرؤىٰ كما ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام إلى ثلاثة أقسام، وما يهمّنا منها قسم واحد فقط، فقد روىٰ الكليني في الكافي نقلاً عن تفسير علي بن ابراهيم:

«علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سعد بن أبي خلف، عن أبي عبدالله(ع) قال: الرؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله

للمؤمن، وتحذير من الشيطان، وأضغاث أحلام»[1].

وهكذا نجد أن الرؤيا ـ كما في هذا الحديث ونظائره من الأحاديث التي لا نوردها اختصاراً للكتاب ـ ثلاثة أقسام، وقسم منها هو الرؤيا الصادقة، وهي محل بحثنا في هذا الكتاب، فكل ما سنذكره فهو عن الرؤيا الصادقة.

شروط الرؤيا الصادقة

ليست كل رؤيا رؤيا صادقة، بل لها شروط ورد ذكرها في بعض الأحاديث المعتبرة.

فقد ذكر المرحوم الشيخ الكليني في حديث طويل عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام كلاماً في الرؤيا نكتفي بذكر ما يهمّنا منه:

«. . . وأمّا الصادقة إذا رآها بعد الثلثين من الليل مع حلول الملائكة وذلك قبل السحرة فهي صادقة لا تخلف إن شاء الله، إلا أن يكون جُنباً، أو ينام على غير طهور، ولم يذكر الله عزّ وجل حقيقة ذكره، فإنها تختلف وتبطىء على صاحبها»[2].

ذكر هذا الحديث أن للرؤيا الصادقة شروطاً ثلاثة:

أن تكون في الثلث الأخير من الليل قبل السحر.

أن يكون صاحب الرؤيا طاهراً من الحدث الأكبر والأصغر.

أن يبدأ نومه ببسم الله الرحمن الرحيم.

ففي هذه الحالة تحضر الملائكة النائم، وترافقه في طول فترة نومه، فإن رأىٰ في ذلك النوم رؤيا فإن رؤياه ستكون صادقة إن شاء الله.

(١) الكافي ج٨ ص ٩٠ حديث ٤١.
(٢) الكافي ج٨ ص ٩١ حديث ٦٢.

شروط معبر الرؤيا

إن الكثير من الناس بل جميعهم تقريباً لا يملكون المعرفة الكافية في تعبير المنامات وتأويلها، مما يضطّرهم إلى مراجعة العالمين بذلك، في حين يجب علىٰ صاحب الرؤيا أن لا يخبر أحداً برؤياه، لأنها تشكل سرّاً من أسراره، ولذا ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وبعض الآيات القرآنية الشريفة ذكر لشروط المعبّرين والمؤوّلين للرؤيا ينبغي على صاحب الرؤيا ملاحظتها في من سيخبره برؤياه ويطلب منه تعبيره لها، وفي ما يلي بعض هذه الأحاديث والآيات كنموذج لذلك نضعه بين يدي القراء الأعزاء:

١ ـ روى المرحوم الكليني في كتاب الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام: «. . . عن أبي جعفر(ع) أن رسول الله (ص) كان يقول: إنّ رؤيا المؤمن ترفّ بين السماء والأرض على رأس صاحبها حتى يعبّرها لنفسه أو يُعبّرها له مثله، فإذا عبّرت لزمت الأرض، فلا تقصّوا رؤياكم إلا على من يعقل»[١].

٢ ـ وروي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام: «. . . عن أبي عبدالله (ع) قال: قال رسول الله (ص): الرؤيا لا تُقصّ إلا على مؤمن خلا من الحسد والبغي»[٢].

٣ ـ قال الله تعالى على لسان يعقوب مخاطباً ابنه يوسف: **﴿قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً وإن الشيطان للإنسان عدوّ مبين﴾**[٣].

نلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديث الأول منع

---

(١) الكافي جزء ٨ ص ٣٣٦ حديث ٥٢٩.
(٢) الكافي جزء ٨ ص ٣٣٦ حديث ٥٣٠.
(٣) سورة يوسف، آية ٥.

أصحـاب الرؤيـا من ذكر رؤيـاهم لأي كان، واشتـرط في من يُعبّر الـرؤيـا أن يكون ممّن يعقل ويعرف.

وفي الحديث الثاني ورد ذكر لثلاثة شروط أخـرى وهي: خلوّ المعبّر أو من يُخبر بالرؤيا من الحسد والبغي، أي أن يكون المؤمن الذي يُخبر بـالرؤيـا ويتصدّىٰ لتعبيرها خالياً من الحسد والبغي.

وكذلك يعقوب عليه السلام كان يعرف أن أخوة يـوسف كانـوا حسودين ويحملون الحقد في قلوبهم على يوسف الصدّيق فمنع ابنه من أن يُخبر أخوته بما رأىٰ.

ومن ناحية أخرىٰ ورد في الحديث الأول أن الـرؤيا تـرفرف حـول رأس صاحبها تنتظر أول تعبيرٍ لها فتتحقق وفقه، وفي ذلك نقرأ حـديثاً آخـر ورد في الكافي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

«. . . فقـال أبو الحسن(ع): إنّ إمـرأة رأت على عهد رسـول الله(ص) أنّ جذع بيتها قد انكسر، فأتت رسول الله(ص) فقصّت عليه الرؤيا، فقال لهـا النبي(ص): يقدم زوجك ويأتي وهو صالح.

وقد كان زوجها غائباً فقدم كمـا قال النبي(ص)، ثم غـاب عنها زوجهـا غيبـة أخرى فـرأت في المنام كـأن جذع بيتهـا قد انكسـر، فـأتت النبي(ص) فقصّت عليه الرؤيا فقال لها: يقدم زوجك ويأتي صالحاً.

فقدم على ما قال، ثم غاب زوجها ثالثة فرأت في منامها أن جـذع بيتها قـد انكسر فلقيت رجـلاً أعسر فقصّت عليـه الرؤيـا فقال لهـا الرجـل السـوء: يموت زوجك.

قال: فبلغ ذلك النبي (ص) فقال: الا كان عبّر لها خيراً»[1].

---

(١) الكافي ج٨ ص ٣٣٥ حديث ٥٢٨.

لقد نبّه رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحديث على أهمّية التعبير الأول للرؤيا، وعليه يجب على صاحب الرؤيا أن يدقق في صفات المعبّر لرؤياه، والشروط التي يجب أن تتوفّر فيه، ولا يُخبر بها كل أحد.

رؤى صادقة في القرآن الكريم

كان حديثاً إلىٰ الآن في أهميّة الرؤىٰ الصادقة، ولزيادة الوضوح نشير إلى بعض تلك الرؤىٰ التي ورد ذكر لها في القرآن الكريم:

١ ـ الرؤيا التي رآها نبي الله ابراهيم عليه السلام في القربان الذي وجب عليه تقديمه وهو ابنه إسماعيل عليه السلام، فقال القرآن الكريم عن ذلك: «فلما بلغ معه السعي قال يا بُني إني أرىٰ في المنام أني أذبحك، فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ما تُؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين»[١].

إن هذه الرؤيا تعتبر ردّاً قاطعاً على من يعتقد أن الرؤيا ليست إلا حركة لخيال الإنسان، وأنها انعكاس لما يعيشه في يومه ذاك في حين أن ابراهيم عليه السلام لم يكن يفكر في نهاره بقتل ابنه إسماعيل وتضحيته لله عز وجل كي يرىٰ ذلك في المنام، فقتل ابنه العزيز إسماعيل وقتل نفس محترمة لا يمكن أن يخطر ببال نبي لله عز وجل كإبراهيم الخليل سلام الله عليه، ولذا من الطبيعي أن يكون لمنامه ذاك ولرؤياه جانباً ملكوتياً، وصفة من صفات الوحي الإلهي وردت عليه بهذه الصورة، فالأنبياء عليهم السلام بعيدون عن الرؤىٰ الشيطانية وأضغاث الأحلام التي يتعرض لها معظم الناس، ولهذا نجد أن ابراهيم الخليل عندما قصّ رؤياه على ابنه إسماعيل عليهما السلام فهم إسماعيل أنها وحي إلهي، فانصاع لأمر الله وقال: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

---

(١) سورة ٣٧، آية ١٠٢.

٢ ـ الرؤيا التي رآها يوسف عليه السلام في صباه وقد ذكرها القرآن الكريم فقال:

﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين، قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك... ﴾[1].

إن ظاهر هذه الرؤيا يثير استغراب الذين لا يعرفون هذا العلم، وهو علم تعبير الرؤىٰ، ومنشأه أنهم سيفكّرون أن يوسف عليه السلام كان في النهار قد أعجب بنفسه كثيراً حتى رأىٰ في منامه أن الشمس والقمر واحد عشر كوكباً يسجدون له في حين أن يعقوب عليه السلام عندما سمع هذه الرؤيا من ابنه عرف عظمته وجلاله، وخاف عليه من حسد وحقد أخوته، فأوصاه أن لا يُخبر أحداً برؤياه.

٣ ـ الرؤيا التي رآها السجينان مع يوسف عليه السلام في السجن وأخبراه بها، فقال القرآن الكريم في ذلك:

﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنّي أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبّئنا بتأويله إنّا نراك من المحسنين... يا صاحبي السجن أمّا أحدكما فسقي ربّه خمراً وأمّا الآخر فيُصلب فتأكل الطيرُ منه رأسه﴾[2].

٤ ـ الرؤيا التي رآها سلطان مصر وعجز جميع معبّري الرؤيا في وقته عن تعبيرها ووصفوها بأنها أضغاث أحلام إلا أن نبي الله يوسف عليه السلام اعتبرها رؤيا صادقة وعبّرها له كما ورد في القرآن الكريم:

﴿وقال الملك إني أرىٰ سبع بقراتٍ سمانٍ يأكلهنَّ سبعٌ عجافٌ وسبعَ

---

(١) سورة ١٢، آية ٥.

(٢) سورة ١٢، الايات ٣٦ و٤٠.

سنبلاتٍ خضرٍ وأخر يابسات يا أيّها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلامٍ وما نحنُ بتأويل الأحلام بعالمين... يوسف أيها الصدّيق أفتنا في سبع... قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدّمتم لهنّ إلا قليلاً مما تحصنون﴾[1].

إن ظاهر هاتين الرؤيتين (الثالثة والرابعة) يعتبر من الخيالات في نظر من لا يعرفون تعبير المنام في حين أن نبي الله يوسف عليه السلام عبّرها بما لا تذهب إليه الأوهام، وتحقّق ما قال فيهما.

وهناك رؤى أخرى صادقة ورد ذكر لها في القرآن الكريم إلا أننا سوف لا نوردها اختصاراً للبحث.

إن هدفنا من ذكر هذه المقدمة (الرؤيا الصادقة وما يتعلّق بها) بيان هذه الحقيقة:

أولاً: إن الرؤىٰ ليست كلّها مردودة وباطلة، بل هناك رؤىٰ صادقة جاء تأييد وجودها في القرآن الكريم وفي أحاديث النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام.

ثانياً: أردنا التطبيق بين الروايات الواردة في موضوع البرزخ وبين ما حدث في الواقع الخارجي من رؤىٰ تؤيّد ما ورد فيها لتكون مصداقاً واقعياً لها.

---

(١) سورة ١٢، الايات ٤٣ إلى ٤٨.



القسم الأوّل

حالة الارواح
في عالم البرزخ

○ ○



الفصل الأول

البرزخ لغة واصطلاحاً

تستعمل كلمة البرزخ عادة مع جمل وكلمات مثل «ما بين» و «ما بينهما» فيقال مثلاً: البرزخ ما بين هذين الشيئين، أو: البرزخ بينهما، أو البرزخ بين الدنيا والآخرة وفي القرآن الكريم:

﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾[1].

﴿وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾[2].

فنلاحظ أن كلمة «برزخ» في الآيتين أعلاه جاءت مع كلمة «بينهما»، وذلك لأن البرزخ في اللغة هو «الحاجز والمانع» ولا تستعمل إلا بوجود طرفين يقع بينهما الحجز والمنع، وعلى هذا عندما نستعمل كلمة البرزخ على أنها الحاجز والمانع يجب أن نعلم أنه حاجز ومانع بين أي شيئين.

البرزخ في كتب اللغة

١ ـ ورد في كتاب المُنجد في مادة «برز»:

(١) سورة ٥٥، الآية ٢٠.

(٢) سورة ٢٥، الآية ٥٣.

البرزخ: الحاجز بين الشيئين، ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث.

٢ ـ وورد في كتاب المفردات للراغب الأصفهاني المختص بكلمات القرآن في معنى كلمة البرزخ:

البرزخ: الحاجز والحدّ بين الشيئين، والبرزخ في القيامة: الحائل بين الإنسان وبين بلوغ المنازل الرفيعة في الآخرة، ومنه قوله تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾[1].

٣ ـ وفي كتاب «مجمع البحرين»:

البرزخ: الحاجز بين الشيئين، والبرزخ في قوله(ع): «نخاف عليكم هول البرزخ» هو ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ، وفيه الحديث: كلّكم في الجنة ولكنّي والله أتخوّف عليكم في البرزخ.

قلت: وما البرزخ؟

قال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة.

إن هذه التعريفات لكلمة البرزخ في كتب اللغة يستفاد منها أن البرزخ له معنى لغوي ومعنى اصطلاحي، فالمعنىٰ اللغوي هو الحاجز والمانع كالحجاب الحاجز الرقيق بين بياض البيضة وصفارها، والذي يمنع من اختلاط المادتين مع بعض، أما المعنىٰ الاصطلاحي فهو الفاصلة الزمنية بين الدنيا والآخرة، يقول القرآن الكريم في المعنىٰ الاصطلاحي لكلمة البرزخ:

﴿... حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلّا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾[1].

---

(١) سورة ٢٣، الآية ١٠٠.

لقد وصف الحدّ الفاصل بين الموت والقيامة في هذه الآية الكريمة باسم البرزخ، وهو ما ورد أيضاً في أحاديث كثيرة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام.

الفصل الثاني

أين يقع عالم البرزخ

علمنا فيما سبق أن الفاصلة الزمنية بين الموت والقيامة تسمى عالم البرزخ، تجتمع فيها أرواح الأموات جميعاً، وهم منذ أن خلق الله آدم عليه السلام وحتى يومنا هذا، مع ما فيهم من أنبياء وأولياء وصالحين، بالإضافة إلى الظالمين والمستكبرين والمشركين، كلّهم مجموعون في ذلك العالم ينتظرون حلول يوم القيامة.

أما أين يقع عالم البرزخ؟ فهل هو جزء من عالمنا هذا؟ وهل هو في نفس هذه الحياة؟ فمثلاً هذه الشمس وهذا القمر هل لهما شروق وغروب في ذلك العالم؟ وأرواح المؤمنين والكافرين تتأثر بهما فيكون لهم ليل ونهار كما هي الحال لنا؟ أو أن الشروق والغروب للشمس مختصّ بأهل الدنيا وليس له أثر على أهل البرزخ.

هذه أسئلة ترد على أذهان الكثير من المؤمنين بالمعاد، وللإجابة عليها نذكر هذه الملاحظات:

١ ـ إن عالم القيامة لم يقم حتى الآن، ومن مقدماته دمار هذا العالم الذي نحن فيه، وكما قال القرآن الكريم عن حلول يوم القيامة:

﴿إذا الشمس كوّرت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيّرت و. . . إذا البحار سجّرت. . .﴾[1].

﴿إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجّرت وإذا القبور بُعثرت. . .﴾[2].

﴿إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة إذا رُجّت الأرض رجّاً وبّست الجبال بسّاً فكانت هباءً منبثّاً﴾[3].

إن هذه كلها علائم لدمار النظام لهذا العالم الذي نحن فيه، وما دمنا نعيش في هذا العالم فالقيامة بعيدة عنّا، والأموات ينتظرونها في عالم البرزخ.

٢ ـ من الثابت في محلّه أن عالم القيامة خالٍ من الشمس والقمر، وأن الله عز وجل سينوّر ذلك العالم بوسائل أخرىٰ اختلف في طبيعتها، فهل هي أنوار الأعمال الصالحة للمؤمنين ويكون كل نور خاص بصاحبه، كما ورد في القرآن الكريم:

﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للّذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً. . .﴾[4].

أو هناك جرم آخر يشبه الشمس يبزغ في عالم القيامة فينيرها ويتمتع جميع الخلائق من نوره كما ورد في القرآن الكريم:

﴿ونفخ في الصّور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربّها

---

(١) سورة ٨١، الأيات ١ إلى ٦.
(٢) سورة ٨٢، الأيات ١ إلى ٤.
(٣) سورة ٥٦، الأيات ١ إلى ٦.
(٤) سورة ٧، الأية ١٣.

ووضع الكتاب. . .﴾[1].

إن البحث في مفهوم هاتين الآيتين الشريفتين وطبيعة الإنارة في يوم القيامة بعيد عن أصل كتابنا، وعلى من أراد التفصيل مراجعة كتب التفاسير.

وما ينبغي لنا أن نقوله أن هاتين الآيتين غير متعارضتين أو متضادتين في هذا الموضوع، وأن الشمس والقمر سيُدمّران وينتهي عملهما مع انتهاء وجود هذا العالم، أما في يوم القيامة فهناك نور آخر.

وبعد هذه المقدمات الثلاث تعود إلى بحثنا الأساس، وهو: هل للشمس والقمر تأثير في عالم البرزخ؟ وأين يقع هذا العالم؟.

نذكر في هذا المجال بعض الأحاديث من مجموع أحاديث كثيرة وردت بشأن عالم البرزخ:

١ ـ روى المرحوم الشيخ الكليني في الكافي عن علي بن ابراهيم: «علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن الحسين بن ميسّر قال: سألت أبا عبدالله(ع) عن جنّة آدم(ع) فقال: جنّة من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً»[2].

وروى المرحوم المجلسي أيضاً هذا الحديث بسند آخر في كتابه «البحار».

وعلىٰ أي حال، هناك عدّة أمور ينبغي التوقّف عندها في هذا الحديث:

أ ـ لم يخلق الله عز وجل آدم عليه السلام في تلك الجنّة الموعودة في عالم الآخرة ولم يشاهدها.

---

(١) سورة ٣٩، الآية ٦٧.

(٢) الكافي ج٣ ص ٤٧ الحديث ٢.

ب ـ هناك في مكان ما من هذه الدنيا جنّة لا يمكن رؤيتها للناس العاديين، ولا يمكن لهم الوصول إليها، وفي الحقيقة يمكن القول أن تلك الجنّة وإن كانت في الدنيا إلا أنها تعتبر من عوالم الغيب، وطبعاً ينبغي الملاحظة أن الدنيا غير محددة بالكرة الأرضية وبعض مئات الكيلومترات من أطرافها.

ج ـ للشمس والقمر شروق وغروب على تلك الجنّة، وأفضل دليل على ذلك وجود الألف واللام العهديّة في كلمتي الشمس والقمر في الحديث المذكور، وفي الحقيقة كان الإمام عليه السلام قال: إن هذه الشمس وهذا القمر يشرقان ويغربان في تلك الجنّة، وإن لم يكن يرد ذلك عليه السلام لذكرهما من دون ألف ولام التعريف بل لذكرهما بالتنوين فيقول: تطلع فيها شمس وقمر.

٢ ـ وروىٰ أيضاً المرحوم الشيخ الكليني عن ضريس الكناسي: «عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، وسهل بن زياد، وعلي بن ابراهيم، عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن ضريس الكناسي قال: سألت أبا جعفر(ع): إن الناس يذكرون أن فراتنا يخرج من الجنّة فكيف هو، وهو يقبل من المغرب وتصب فيه العيون والأودية؟!

فقال أبو جعفر(ع) وأنا أسمع: إن لله جنّة خلقها الله في المغرب، وماء فراتكم يخرج منها، وإليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كلّ مساء فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتنعّم فيها، وتتلاقىٰ وتتعارف، فإذا طلع الفجر هاجت من الجنّة...»[1].

إن التأمل في هذا الحديث يوقفنا على الملاحظات التالية:

أ ـ هناك في غرب الأرض جنّة يعبر منها ماء الفرات.

---

(١) الكافي ج٣ ص ٢٤٦ الحديث ١.

منبع ماء الفرات

قيل عن ذلك ما يلي :

إن نهر الفرات الذي يبلغ طوله (٣٠٦٥) كلم ويسير في حوض مساحته (٦٧٣٠٠٠) كلم مربّع ينبع من جبال تركيا المركزية قريباً جداً من عيون «قزل إيرماك» ويقع «٩٧١» كلم منه في الأراضي التركية حيث تتصل به فروع عديدة من اليمين والشمال.

ويدخل هذا النهر أولاً في الأراضي السورية متجهاً من شمالها الغربي إلىٰ جنوبها الشرقي قاسماً هذا البلد إلى قسمين غير متساويين، ثم يدخل ماؤه المبارك أراضي العراق متجهاً من شماله متساويين ومتشابهين تقريباً، ثم يتصل آخر المطاف بنهر دجلة في مدينة «القرنة» ليشكل معه شط العرب الذي يصب في مياه الخليج.

إن نهر الفرات من الأنهر الثرية بمائها في العالم، وهو اليوم يستعمل من منبعه إلى مصبّه في السقي وتوليد الطاقة وغير ذلك من الفوائد، ومع كل ذلك فميزان تخليته يصل إلى (٢٥٠٠) م مكعب في الثانية[١].

ومن الجدير بالذكر أن منبع ومسير نهر الفرات بالنسبة إلى المدينة المنورة والحجاز محل سكنىٰ الإمام الباقر عليه السلام في تلك الأيام يكون في حدود الجهة الغربية فتكون الجنة التي أشار إليها الإمام أنها في المغرب هناك ولا يُعلم في أي جزء من مسير هذا النهر هي، ولو لاحظنا الأحاديث الأخرى المتعلّقة بهذا الموضوع لوجدناها تقع في وادي السلام من أرض العراق.

ب ـ الملاحظة الثانية المستفادة من هذا الحديث أن أرواح المؤمنين تذهب في الليل إلى تلك الجنة وتخرج منها عند آذان الصبح.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية الكبرى ج١ ص٦ مادة أب (بالفارسية).

ج ـ والأمر الثالث هو أن حديث الإمام الباقر عليه السلام كان موجهاً إلى إنسان عادي، وبطبيعة الحال لم يكن قد رأى ذلك العالم، فكلمة «العصر» و «الصبح» اللذان استعملهما الإمام في حديثه هما بنفس المعنى المتعارف لهما مما يفهمه السامع، ومن هنا يجب القول أن للشمس أثر على ذلك العالم وإلا لم يكن لتصح الإشارة إلى وقت الصبح والعصر بالنسبة للأرواح وحركتها ولكان قول الإمام: أنهم يقضون بعض الوقت من ليلنا ونهارنا في تلك الجنة.

د ـ سنذكر رؤيا أمٍّ لشهيد كمصداق لهذا الحديث: كانت أم أحد الشهداء في الحرب العراقية المفروضة على إيران تزور قبر ولدها ليلة الجمعة وتبقىٰ عنده حتى الصباح ثم تعود بعد شروق الشمس إلى منزلها.

وبعد مدة من الزمان أصبح هذا العمل عادة لهذه الأم يعرفها الكثيرون من أقربائها، حتى كان أحد الأيام حيث تخلّفت عنه وتركته فلمّا سألت عن علّة ذلك قالت: عندما نمت في إحدى المرّات هناك رأيت في عالم الرؤيا أن جميع الشهداء المدفونون في تلك المقبرة حاملون حقائب السفر وهم مستعدّون للمغادرة، فسألت ابني عن مقصدهم فقال: إننا في عصر كل يوم نذهب إلى النجف الأشرف لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام ثم نعود في الصباح، وهؤلاء متجهون إلى النجف الأشرف الآن.

فقلت له: ألا تذهب معهم؟.

قال: لا.

قلت: لماذا؟.

قال: لديّ ضيف عليّ الاعتناء به.

قلت له: ومن هو ضيفك؟.

قال: أنت.

قلت: أنا؟!

قال: نعم.

استيقظت من منامي وأنا أفكر مع نفسي أن زيارتي للمقبرة ومبيتي عنده يحرمه من زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، ولذا قررت أن أترك المقبرة عند زيارتي لها يوم الخميس قبل حلول الليل.

هذه الرؤيا هي إحدى الرؤىٰ الصادقة، ويمكن الاستفادة منها بعدّة أمور:

أولاً: إن النهار والليل، والصبح والعصر كما هي لنا هي للأموات بنفس المعنى.

ثانياً: ورد في الحديث أن أرواح المؤمنين تكون في النهار في مكانٍ وفي الليل في مكان آخر، إلا أنها في هذه الرؤيا تهاجر إلى النجف الأشرف لزيارة مقام أمير المؤمنين عليه السلام، في حين نجد في حديث آخر أن أرواح المؤمنين تكون في جنّة ليلاً، وليس في هذا تنافٍ، لأن من الممكن أن تكون الجنّة التي في مغرب الأرض هي في الحقيقة نفس وادي السلام المعروف في النجف الأشرف كما سيأتي التصريح بذلك في الروايات القادمة.

وعلى أي حال، المقصود في هذا الموضوع هو إثبات أن الأرواح تتنقل في مكانها بين الليل والنهار.

٣ ـ ذكر علي بن ابراهيم القمّي في تفسيره ضمن تفسير الآية ٤٦ من سورة غافر:

«النار يعرضون عليها غدواً وعشياً» قال ذلك في الدنيا قبل القيامة، وذلك أن في القيامة لا يكون غدواً ولا عشياً، لأن الغدوّ والعشاء إنما يكون في الشمس والقمر، وليس في جنان الخلد ونيرانها شمس ولا قمر.

قال: وقال رجل لأبي عبدالله(ع): ما تقول في قول الله عز وجل: «النار

يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً»؟ .

فقال أبو عبدالله(ع): ما يقول النّاس فيها؟ .

فقال: يقولون: إنها في نار الخلد، وهم لا يعذّبون فيما بين ذلك.

فقال(ع): فهم من السعداء.

فقيل له: جعلت فداك، فكيف هذا؟ .

فقال(ع): إنما هذا في الدنيا، فأمّا في نار الخلد فهو قوله تعالى: ﴿ ويوم تقوم ٱلسَّاعة أَدْخِلُوا ءَالَ فِرعون أَشدَّ ٱلعـذَاب ﴾[1].

إن الملاحظة التي ينبغي التوجّه لها في كلام المرحوم علي بن ابراهيم أنه أراد إثبات حالة الليل والنهار في عالم البرزخ بما يشير إلى وجود شروق وغروب للشمس في ذلك العالم بشكل طبيعي.

٤ ـ وهناك حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام له أبعاد مختلفة نشير إلى ما يهمّنا منها حيث يقول:

«. . . فالمؤمن ينتقل روحه من جسده إلى مثل جسده في الصورة فيجعل في جنّات من جنان الدنيا، يتنعّم فيها إلى يوم المآب، والكافر ينتقل روحه من جسده إلى مثله بعينه ويجعل في نار فيُعذّب بها إلى يوم القيامة»[2].

ومما مر من أحاديث تظهر لنا الملاحظات التالية:

أ ـ إن هذه الأرواح تكون في جنان من جنان الدنيا إلى يوم القيامة مستفيدة من نعم الله عز وجل، لأن السؤال كان في بداية الحديث عن مصير الأرواح بعد الموت، والمكان الذي ستذهب إليه بعد عالم الدنيا، فأجاب الإمام عليه السلام أنها في جنان من جنان الدنيا، فيُعلم أن هذه الجنان

(١) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٨٦ حديث ٦. سورة غافر، آية: ٤٦.
(٢) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٥٣.

الدنيويّة المشار إليها هي في عالم البرزخ.

ب ـ يظهر من الآيات من سورة البقرة والأعراف وطه بشأن جنّة آدم عليه السلام التي كان فيها بالإضافة إلى مجموع الروايات المتعلّقة بذلك أن جنّة آدم كانت تستفيد وتضاء بنور شمسنا هذه وقمرنا، وأنها غير الجنّة البرزخيّة التي هي محل بحثنا، ولم نقصد في إيرادنا الحديث الأول من هذا الفصل أن نثبت أن تلك الجنّة وجنّة البرزخ هما جنّة واحدة، بل المقصود هو أن الشمس والقمر في هذا العالم ومن تلك الجنّة هما شيء واحد.

ج ـ لقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى وجود قالب مثالي تحلّ فيه الروح الإنسانية بعد خروجها من البدن الحالي، وهذا القالب موجود في عالم البرزخ، ويكون محلاً لإدامة حياتها فيه.

وهناك أحاديث كثيرة أخرىٰ تتعلّق بموضوع عالم البرزخ، وأنه في هذه الدنيا، ويقع تحت تأثير شمسنا وقمرنا، مما سيجعلنا نؤكّد على تلك الأحاديث ونوردها ضمن بحثنا هذا، فهي تتحدّث بمناسبات مختلفة عن شروق الشمس على عالم البرزخ وطلوع الفجر الصادق فيه وغير ذلك، وتشير إلى طلوع القمر على أهل البرزخ أيضاً، وأن البرزخ يتأثّر بهذه الظواهر الطبيعية الدنيوية، ويكون لأهل البرزخ حالات مختلفة بين الليل والنهار.

فعلى سبيل المثال جاء في أحد الأحاديث أن زيارة أهل القبور قبل طلوع الشمس لها أثر معين، وإن كانت بعد طلوع الشمس لها أثر آخر، ومواضيع أخرىٰ من هذا القبيل، مما يستفاد منه أن طلوع الشمس وغروبها وبزوغ القمر وغروبه مؤثر في عالم البرزخ بما يعني أن عالم البرزخ هو جزء من عالمنا الدنيوي إلا أنه غائب عن الأنظار.

الفصل الثالث

أين تذهب الأرواح بعد الموت؟

كما أن الناس ينقسمون في عالم الدنيا من حيث العقائد والأعمال إلى أقسام ثلاثة:

١ ـ المسلم والمؤمن.

٢ ـ الكافر والمشرك والظالم.

٣ ـ المستضعف.

كذلك أرواح الأموات تنقسم في عالم البرزخ إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ أرواح المؤمنين.

٢ ـ أرواح الكفّار والمشركين والظالمين.

٣ ـ أرواح المستضعفين والأشخاص البلهاء والأطفال الذين يخرجون من الدنيا قبل مرحلة البلوغ.

وسنحاول في هذا الفصل أن نذكر ونبيّن حالات كل من هذه الأقسام الثلاثة، ونعين مكانهم في عالم البرزخ، وكيف يعيشون فيه.

١ ـ أين تذهب أرواح المؤمنين

وردت مجموعة من روايات أهل البيت عليهم السلام بشأن أرواح

المؤمنين ومحلّها في عالم البرزخ، وهل أن لهـا مكانـاً خاصـاً تفترق فيـه عن أرواح غير المؤمنين، أو أنها تعيش مـع الآخرين في مكـان واحد وتعـاشرهم؟ وسنشير إلى بعض منها رعاية للاختصار وتجنّباً للتكرار:

١ ـ روىٰ المرحوم الشيخ الكليني في كتاب الكافي عن سهل بن زيـاد: «عدّة من أصحابنـا، عن سهل بن زيـاد، عن الحسن بن علي، عن أحمد بن عمـر، رفعه عن أبي عبـدالله(ع) قال: قلت لـه: إن أخي ببغـداد وأخـاف أن يموت بها.

فقال(ع): ما تبالي حيثما مات، أما إنـه لا يبقىٰ مؤمن في شرق الأرض وغربها إلا حشر الله روحه إلى وادي السلام.

قلت له: وأين وادي السلام؟

قـال(ع): ظهـر الكـوفـة، أمـا إنّي كـأني بهم حـلق حلق قـعـود يتحدّثون»[1].

٢ ـ وروىٰ أيضاً في الكافي عن حبّة العُرني:

«. . . عن حبة العرني قال: خرجت مع أمير المؤمنين(ع) إلى الـظهر، فـوقف بوادي السـلام كأنّـه مخاطب لأقـوام، فقمت بقيامـه حتى أعييت، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت حتى نالني مثل مـا نالني أولاً، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت وجمعت ردائي، فقلت: يـا أميـر المؤمنين، إني قـد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه.

فقال لي: يا حبّة، إن هي إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنهم لكذلك؟

قال: نعم، ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون.

---

(١) الكافي ج٣ ص ٢٤٣ الحديث ٢.

فقلت: أجسام أو أرواح؟

فقال: أرواح[1]، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحه: إلحقي بوادي السلام، وإنها لبقعة من جنّة عدن[2].

يظهر لنا من الحديث أعلاه عدّة أمور:

أ ـ إن أرواح المؤمنين بعد مغادرة الدنيا تجتمع في مكان يناسب أعمالها الصالحة في الدنيا، وتجتمع مع بعضها البعض وتتآلف.

ب ـ إن محل اجتماع المؤمنين في عالم البرزخ هو وادي السلام، ووادي السلام صحراء تقع جنوبي الكوفة، وهي مدفن مولى المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام، وفيها أيضاً مدينة النجف الأشرف، وباعتقادي أن هذه الصحراء تمتدّ من غرب الكوفة إلى جهة كربلاء والكاظمية وبغداد، وربما تمتد مع امتداد نهر الفرات حتى الحدود السورية.

ج ـ يستفاد من الحديث الثاني أن هذا القسم من الأرض يُعتبر قطعة من الجنّة، فلو كشف لنا الغطاء ـ كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام ـ لرأينا في هذه الصحراء ـ صحراء وادي السلام ـ مزارع كبيرة وبساتين وأشجار فاكهة في فصلها وفي غير فصلها، كما رأى الحاج علي البغدادي (على ما نقل المرحوم المحدث القمي والآخرون) في لقائه بصاحب الزمان عجل الله فرجه في

---

(١) قيل في محلّه أن الروح ليست محلاً للذّات، فيجب أن تكون في قالب خاص لذلك، فإذا أرادت روح الإنسان أن تظهر في عالم الدنيا يجب أن تظهر بنفس هذا القالب المادي الدنيوي الحاوي على الحواس الخمس فتدركه، ومثله ظهورها في عالم البرزخ بواسطة القالب المثالي، وقد قلنا تعليقاً على الحديث الرابع من الفصل الثاني نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام أن روح المؤمنين والكفّار عندما تخرج من البدن تدخل في بدن مشابه له. وعندما قال أمير المؤمنين عليه السلام لحبّة العرني أنها روح إما هو لغياب ذلك القالب المثالي عن النظر المادي لحبّة. وعلى هذا الاصطلاح العُرفي أيضاً، فإنه يُطلق على الإنسان بعد موته بالروح وروح الإنسان وليس الجسم البرزخي.

(٢) الكافي ج٢ ص ٢٤٣ الحديث ١.

طريق بغداد والكاظمية، وبعد أن انتبه لهذا اللقاء تذكّر أن هذا الطريق لم يكن يحوي أشجاراً وبساتين كما رآها في لقائه مع الإمام عليه السلام.

د ـ إن الحادثة التي رواها حبّة العرني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سار معه إلى خارج الكوفة وإلى ظهر الكوفة حيث وادي السلام أنه سار معه إلى خارج الكوفة وإلى ظهر الكوفة حيث وادي السلام كانت في حياة حبّة العرني، ورآها في اليقظة دون المنام، والكوفة ووادي السلام يقعان على نفس هذه الأرض، وتحت نفس هذه السماء، ويستفيدان من ضياء الشمس ونور القمر، مما يفهم منه أن عالم البرزخ هو جزء من هذا العالم إلا أنه من قسم عوالم الغيب التي لا تدركها الأبصار.

٣ ـ روى المرحوم المجلسي في بحار الأنوار عن المحاسن: «ابن محبوب، عن ابراهيم بن إسحاق قال: قلت لأبي عبدالله(ع): ابن أرواح المؤمنين؟

فقال: أرواح المؤمنين في حجرات الجنّة، يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها، ويقولون: ربنا أقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا. . .»[1].

ولنذكر رؤيا صادقة مصداقاً لهذا الحديث:

ذكرت إحدى النساء العراقيات المُسفّرات إلى إيران من العراق وبقيت أمها هناك، قالت هذه المرأة: قبل ما يقرب من سنتين فقدت أخبار والدتي، وفي إحدى الليالي رأيت في المنام أني في منطقة خضراء مليئة بالأشجار المونقة والأنهار الجارية من صغير وكبير، وفجأة وجدت نفسي في ساحة حقل صغير تتفرع فيه ومن كل الجوانب صفوف من الأشجار الخضراء ذات الثمر الجميل، مع نهر ماء صغير يمر إلى جانب طريق في هذه الحديقة، وبعد أن

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٣٤ الحديث ٤٩.

سرت في هذا الطريق وصلت إلى باب لحديقة مغلقة فأحببت أن أرىٰ ما في داخلها، فعندما تطلّعت إلى الداخل رأيت حديقة خضراء جميلة وإلى جانبها غرفة ألقيت ستارة على بابها، فغبطت صاحب هذه الحديقة، وفجأة ارتفعت هذه الستارة عن باب تلك الغرفة، فرأيت أمي في داخلها، وبعد أن أسرعت إليها احتضنتها واحتضنتني وسألتها عن حالها فقالت: إنني أعيش منذ مدّة في هذه الحديقة.

ثم ذكرت لي إسم زوجي المتوفىٰ وقالت لي أنه زارها قبل ساعة من الآن، وهو يزورها كل بضعة أيام مرة، ثم استيقظت من المنام.

عندما سمعت هذه الرؤيا تيقّنت من صحّتها لمطابقتها للحديث السابق، وبعد عدة أشهر جاء أحد الأصدقاء العراقيين من العراق وكان يعرف تلك المرأة، وعندما سألناه عنها أخبرنا بوفاته قبل سنة وبعض الأشهر من وقت تلك الرؤيا.

٤ ـ وورد في البحار أيضاً عن تفسير علي بن ابراهيم عن الإمام الصادق عليه السلام: «... عن أبي عبدالله (ع) عن آبائه صلوات الله عليهم قال: كان فيما سأل ملك الروم الحسن بن علي(ع) أن سأله عن أرواح المؤمنين أين يكونون إذا ماتوا.

فقال: تجتمع عند صخرة بيت المقدس في ليلة الجمعة...»[1].

وبملاحظة الحديثين السابقين (الثالث والرابع) ينبغي الالتفات إلى النقاط التالية:

أ ـ إن ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام في الحديث الثالث من أن أرواح المؤمنين تجتمع في حُجرات من الجنّة، وما ذكره الإمام المجتبى عليه

---

(١) بحار الأنوار ٦ ص ٢٨٦ الحديث ٨ وصخرة بيت المقدس هي تلك الصخرة التي يقول بعض المفسرين أن النبي(ص) عرج من عندها إلى السماء.

السلام أنها في صخرة بيت المقدس، وما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث الثاني والإمام الصادق في الحديث الأول أنها في وادي السلام كل ذلك لا يتنافى مع بعضه الآخر للأسباب التالية:

١ ـ إن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام إنما ذكر اجتماع الأرواح في ليلة الجمعة عند صخرة بيت المقدس في حين تكلّم الأئمة الآخرون عليهم السلام عن محل تواجدهم العام.

٢ ـ يمكن أن يكون اجتماعها في بيت المقدس في جزءٍ من الليل.

٣ ـ يمكن أن يكون بيت المقدس جزءاً من وادي السلام باعتبار وقوعه في الغرب نسبة إلى المدينة المنورة، فيكون متطابقاً مع مفاد الحديث الرابع.

٤ ـ يمكن أن يكون المقصود هو أن أرواح المؤمنين مع أنها تعيش في جنّة عالم البرزخ وفي أماكن مخصّصة إلا أنها حرّة بالتنقّل والوصول إلى الأماكن المقدسة من قبيل بيت المقدس والنجف الأشرف وبيت الله الحرام وحائر الإمام الحسين عليه السلام.

ب ـ يستفاد من الحديث الثالث أن أرواح المؤمنين لا تكون مجتمعة مع بعضها دائماً، بل لكل منها مكان مخصوص (حجرات في الجنة) وتجتمع مع بعضها الآخر في أوقات معيّنة، وأحياناً تجتمع في وادي السلام، وأحياناً في بيت المقدس وأماكن أخرى.

ج ـ ورد في بعض الآيات القرآنية أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، ومع ملاحظة أن الشهيد هو أحد المصاديق الواضحة للمؤمن جاء ذكره في القرآن الكريم، وخُصّص بهذا الوصف، وأنه يعيش حيّاً يتنعّم برزق الله عز وجل بما يتطابق مع مفاد الحديث الثالث، وبذلك يكون المؤمنون والشهداء شركاء في جنّة عالم البرزخ في رحاب نعم الله عز وجل.

د ـ يُفهم من الأحاديث الأربعة السابقة ومجموع الأحاديث الواردة بهذا

الشأن أن الله عز وجل خصّ عباده المؤمنين الصالحين بأن جعل لهم على الأرض مكاناً خاصّاً لا يختلف كثيراً عن جنّة الخلد ليكون محلاً لأرواحهم بعد الموت، وبذلك يكونوا قد اقتربوا خطوة نحو مقام القرب الإلهي.

٢ ـ أين تذهب أرواح الكفار؟

وردت أحاديث كثيرة في هذا الموضوع، وللاختصار سنذكر حديثين فقط.

١ ـ ذكر المرحوم المجلسي في بحار الأنوار نقلاً عن المحاسن:

«ابن محبوب، عن ابراهيم بن إسحاق قال: قلت لأبي عبدالله (ع): فأين أرواح الكفار؟

فقال: في حجرات النار، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها، ويقولون: ربّنا لا تقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا»[1].

٢ ـ وذكر أيضاً نقلاً عن تفسير علي بن ابراهيم عن الصادق عليه السلام:

«. . . عن أبي عبدالله(ع) عن آبائه صلوات الله عليهم قال: كان فيما سأل ملك الروم الحسن بن علي(ع) أن سأله عن. . . أرواح الكفار أين تجتمع؟

قال(ع): تجتمع في وادي حضرموت وراء اليمن»[1].

وبملاحظة هذين الحديثين نسجل النقاط التالية:

ألف ـ الحديث الأول في هذا البحث هو جزء من الحديث الثالث في

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٣٤ الحديث ٤٩.

(١) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٨٦ الحديث ٨ وسيأتي الحديث عن وادي حضرموت في الفصل الخامس.

البحث السابق (أين تذهب أرواح المؤمنين)، والحديث الثاني هو قسم من الحديث الرابع في ذلك البحث، وقد عمدنا إلى تقطيع هذه الأحاديث مع ذكر مصادرها من أجل تسليط الضوء على مواضيع هذا الكتاب بشكل دقيق.

باء ـ يُظهر القسمان من هذين الحديثين أن أرواح الكفّار تعيش في حُفر من النيران في عالم البرزخ كما تعيش أرواح المؤمنين في روضات من الجنان في ذلك العالم منتظرةً حلول يوم القيامة.

ويستفاد من بعض الأحاديث أن النعم التي يُرزق بها أهل جنّة عالم البرزخ تكون شبيهة بنعم الله عز وجل الموعودة في الجنّة التي ستكون في عالم الآخرة، وكذلك عذاب عالم البرزخ هو نموذج مُصغّر لعذاب يوم القيامة يستمر بأهله حتى حلول ذلك اليوم، مع ملاحظة أن الخيرات والصدقات التي يبعثها الأحياء إلى الأموات قد تؤدّي إلى نجاتهم من ذلك العذاب وتحوّلهم إلى أن يكونوا من أهل الجنّة.

٣ ـ محل أرواح المستضعفين؟

علمنا سابقاً أن الناس ينقسمون من حيث العقائد والأعمال إلى مؤمن وكافر ومستضعف، وبالتالي فأرواحهم أيضاً ستنقسم من حيث المقام والشأن إلى هذه الأقسام الثلاثة، وبعد أن بيّنا محل تواجد أرواح المؤمنين والكفّار في عالم البرزخ سنبيّن محل استقرار أرواح المستضعفين في ذلك العالم، ولكن نجد أن معنى المستضعف في عُرف الناس غير واضح، أو أن له معانٍ غير دقيقة مما يضطّرنا إلى استعراض معنى المستضعف من وجهة نظر تعريف الأئمة المعصومين عليهم السلام.

المستضعف عند الأئمة عليهم السلام

وردت عدة أحاديث في بيان معنى المستضعف عن أئمة أهل البيت عليهم السلام نذكر بعضها بشكل ملخّص:

١ ـ ذكر المرحوم الكليني في كتاب الكافي عن علي بن ابراهيم: «عن علي بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن بعض أصحابه عن زرارة قال: سألت أبا جعفر(ع) عن المستضعف، فقال: هو الذي لا يهتدي حيلة إلى الكفر فيكفر، ولا يهتدي سبيلاً إلى الإيمان، لا يستطيع أن يؤمن ولا يستطيع أن يكفر، فهم الصبيان ومن كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان مرفوع عنهم القلم»[١].

٢ ـ وروى أيضاً المرحوم الكليني في كتابه عن زرارة:

«. . . قال: . سألت أبا عبدالله(ع) عن المستضعف، فقال: هم أهل الولاية، فقلت: أي ولاية؟.

فقال: أما أنها ليست بالولاية في الدين ولكنها الولاية في المناكحة والموارثة والمخالطة، وهم ليسوا بالمؤمنين ولا بالكفّار، ومنهم المرجون لأمر الله عز وجل»[٢].

٣ ـ ورد في هامش الكافي المطبوع الجزء الثاني صفحة ٤٠٤ في شرح كلمة «المستضعفين»:

«المستضعف عند أكثر الأصحاب من لا يعرف الإمام ولا ينكره ولا يوالي أحداً بعينه.

وقال ابن إدريس(ره): هو من لا يعرف اختلاف الناس في المذاهب ولا يبغض أهل الحق على اعتقادهم».

إن الفرق بين الحديث الأول والحديث الثاني أن الأول يتحدّث عن الإسلام والكفر أي أن المستضعف لا يملك الدليل على صحّة الإيمان والكفر، ولم يهتدِ إلى الطريق في انتخاب أحدهما، أما في الحديث الثاني

(١) الكافي ج٢ ص ٤٠٤ الحديث ١.
(٢) الكافي ج٢ ص ٤٠٥ الحديث ٥.

فالكلام هو عن الإسلام والإيمان، أي أن المستضعف قد اختار الإسلام إلا أنه لم يوفّق لاختيار المذهب الصحيح من مذاهب المسلمين، فهو ليس شيعي ولا حنفي ولا حنبلي ولا مالكي ولا شافعي، بل مسلم وحسب، وإذا سألناه عن مذهبه قال: لا فرق بين المذاهب، فالجميع مسلمون، والجميع يقولون لا إله إلا الله، وكلّهم يصلّي إلى قبلة واحدة، وقرآنهم واحد، ولا أستطيع أن أفهم الفرق بين المذاهب.

وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام أن هكذا مسلمين هم مستضعفون أيضاً.

وبرأيي أن كلا الحديثين يشيران إلى معنى واحد إلا أن كل منهما يتناول بالإشارة جانباً من الموضوع، والجامع بينهما أن المستضعف لم يهتدِ إلى طريق بينه وبين الله عز وجل يوصله إلى الحق، سواء كان تحيّره بين الإسلام والكفر ـ كما هو في الحديث الأول ـ أو هو غير متحيّر في أصل الإسلام، بل قد قبل الإسلام إلا أنه لا يعرف أي مذهب في مذاهبه وينتخب كما هو الحال في الحديث الثاني.

٤ ـ وورد أيضاً في كتاب الكافي عن أبي بصير:

«... عن أبي عبدالله(ع) قال: من عرف اختلاف الناس فليس بمستضعف».

وفي خبر آخر: «... عن أبي الحسن موسى(ع) قال: سألته عن الضعفاء: فكتب إليّ: الضعيف من لم تُرفع إليه حُجّة ولم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بمستضعف»[1].

إن في هذين الحديثين نجد أن الملاك في مفهوم المستضعف هو معرفة وعدم معرفة الحق والباطل، ومن الطبيعي لو علم الإنسان بموارد

---

(٢) الكافي ج٢ ص ٤٠٦ الحديث ١٠ و١١.

الاختلاف مثلاً بين الشيعة والسنّة فإنه سيعرف الحق من الباطل، فإن أخذ بالحق فهو من المؤمنين وإن مال إلى الباطل كان من المعاندين وأعداء الحق، وكذلك الفرق بين الإيمان والكفر، ولذلك قال الإمام عليه السلام في الحديثين: «فإذا عرف الاختلاف فليس بمستضعف».

وعلى هذا ليس المقصود من كلمة المستضعف في بحثنا المستضعف مالياً كي يفقد البعض أن للفقراء في عالم البرزخ والقيامة حساب خاص يختلف عن المؤمنين، بل المقصود كما أوضحنا الاستضعاف الفكري، أي هم الأشخاص الذين أرادوا أن يفهموا الحق والباطل إلا أن ضعفهم الفكري وغياب الفرص عنهم منعتهم من تحصيل هذا الفهم، وهذه الحالة تشمل الأبله والأطفال والأحداث الذين لم يصلوا إلى مرحلة البلوغ وما شابه.

ومن الجدير بالذكر أن الذين لا يستطيعون معرفة الحق من الباطل لكونهم يعيشون في أجواء مسمومة فكريّاً لا يقبل منهم العذر، لأن القرآن الكريم يقول:

﴿إن الذين توفّيهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنّم وساءت مصيراً﴾[1].

وهناك نوع آخر من المستضعفين الذين يعيشون حالة الاستضعاف بسبب الاستكبار والمستكبرين، فيغفلون عن طاعة الله عز وجل، وقد ورد الأمر للمؤمنين في كل عصر وزمان أن يسعوا لخلاص هؤلاء من قيود الاستعمار والاستكبار كما يقول القرآن الكريم:

﴿ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا

---

(١) سورة ٤، الآية ٩٧.

من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾[1].

لقد اتضح لنا أن المستضعف في مفهوم القرآن الكريم والأئمة المعصومين عليهم السلام ـ كما في الأحاديث التي ذكرناها وأحاديث أخرى ستأتي في الصفحات القادمة ـ يشمل هؤلاء الأفراد.

أما ما سيكون حال المستضعفين في عالم البرزخ، فهذا ما سنشير إليه في ضمن الحديث الآتي ونكتفي به:

روى المرحوم الكليني في الكافي عن ضريس:

«. . . قال: قلت [لأبي جعفر(ع)]: أصلحك الله، فما حال الموحّدين المقرّين بنبوة محمد(ص) من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولايتكم؟.

فقال(ع): أما هؤلاء فإنّهم في حفرتهم لا يخرجون منها، فمن كان منهم له عمل صالح ولم يظهر منه عداوة فإنّه يُخدّ له خدّ إلى الجنّة التي خلقها الله في المغرب، فيدخل عليه منها الرَّوح في حفرته إلى يوم القيامة، فيلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيّئاته، فإما إلى الجنّة وإما إلى النّار، فهؤلاء موقوفون لأمر الله، وكذلك يفعل الله بالمستضعفين والبُله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم.

فأمّا النصّاب من أهل القبلة فإنهم يُخدّ لهم خدّ إلى النار التي خلقها الله في المشرق، فيدخل عليهم منها اللهب والشّرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة، ثم مصيرهم إلى الحميم، ثم في النار يُسجرون، ثم قيل لهم: أينما كنتم تدعون من دون الله؟ أين إمامكم الذين اتخذتموه دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً»[1].

---

(١) سورة ٤، الآية ٧٥.

(١) الكافي ج٣ ص ٢٤٦ الحديث ١.

ومع أن هذا القسم من حديث ضريس الذي نقلناه يرتبط بأرواح المسلمين غير الموالين لأهل البيت عليهم السلام سواء كانوا ناصبيين أو غير ناصبيين إلا أن المراد من نقله هو قوله عليه السلام:

«وكذلك يفعل الله بالمستضعفين والبُله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم».

إذاً في الحقيقة إن الله عز وجل سيجعل أرواح المستضعفين والبلهاء وأرواح الأطفال الذين ماتوا في عمر الطفولة وأرواح الأحداث الذين لم يبلغوا الحلم فماتوا يجعلهم في عالم البرزخ في قبورهم، ويفتح لهم طريقاً إلى الجنّة يصلهم منها الروح، ويبقون كذلك حتى يوم القيامة، وعندها يحاسبهم الله عز وجل طبق أعمالهم فإما إلى الجنّة وإما إلى النار[1].

وبما يتعلّق بحديث ضريس هناك بعض الملاحظات:

أ ـ إن هذا الحديث من حيث السند عالم صحيح، ويرتبط معناه بشكل أساس بما يتعلّق بأهل العامة وحالهم في عالم البرزخ، وكما قلنا أنهم ينقسمون إلى قسمين، ولكل من القسمين حال خاص في عالم البرزخ.

ب ـ يختص هذا الحديث بيان أن الأرواح في عالم البرزخ ليست

---

(١) إن هذا الموضوع (أي حساب المستضعفين يوم القيامة) يتعلق ببحث عالم القيامة، وهو خارج عن موضوع هذا الكتاب، ولكن هذا الحديث حديث حسّاس والكثيرون يرغبون في معرفة ما سيفعله الله بهم يوم القيامة ولذا سنذكر حديثين قصيرين في ذلك:

١) قال الباقر عليه السلام لزرارة: هل تدري قوله: «الله أعلم بما كانوا عاملين»؟ قلت: لا. قال: لله فيهم المشيئة، أنه إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الأطفال والذي مات من الناس في الفترة، والشيخ الكبير الذي أدرك النبي(ص) وهو لا يعقل والأصم الأبكم الذي لا يعقل والمجنون والأبله الذي لا يعقل، وكل واحد منهم يحتج على الله عز وجل فيبعث الله إليهم ملكاً من الملائكة فيؤجج لهم ناراً ثم يبعث الله إليهم ملكاً فيقول لهم: إن بكم يأمركم أن تثبوا فيها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً وأدخل الجنّة ومن تخلّف عنها دخل النار. (الكافي ٣: ٢٣٤ ح١).

٢) وفي حديث آخر: فيقولون: يا ربّنا تأمر بنا إلى النار ولم تُجر علينا القلم؟ فيقول الجبّار: قد أمرتكم مشافهة فلم تطيعوني، فكيف لو أرسلت رسلي بالغيب إليكم! (ح٢).

جميعها حرّة بالتحرك والتنقّل، بل هناك من الأرواح حتىٰ من المسلمين ما يكون محبوساً في حفرة القبر، ولا يستفيد إلاّ من عطرٍ ونسيمٍ لطيفٍ يأتيها من الجنّة البرزخيّة بخلاف أرواح المؤمنين عالي الرتبة، فإن لهم الإذن والرخصة بالتنقّل بأوسع من ذلك، وزيارة أماكن بعيدة.

ج ـ سيرد ضمن الأحاديث الآتية بالإضافة إلى هذا الحديث مصطلح الحفرة والقبر، وسنحيل البحث في هاتين الكلمتين إلى الفصل الرابع إن شاء الله تعالى.

الفصل الرابع

المراد من «الحفرة» و «القبر»؟

لقد وردت كلمة الحفرة في حديث «ضريس الكناسي» بما يتعلق بحال المستضعفين في عالم البرزخ، وهذه الكلمة وكلمة القبر في أحاديث أخرىٰ سيكونان محل بحث في كتابنا هذا، ولذا يجدر بنا أن نقف عندهما قليلاً.

ذكرنا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله في معنىٰ البرزخ حيث قال صلى الله عليه وآله: «. . . ولكنّي والله أتخوّف عليكم في البرزخ.

قلت: وما البرزخ؟

قال: القبير منذ حين موته إلىٰ يوم القيامة».

وفي حديث نبوي آخر: القبر إما حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنان.

وجاء في حديث للإمام الصادق عليه السلام[1]: يدخل على الميت في قبره الصلاة والصوم والحج والصدقة والبر والدعاء ويكتب أجره للذي يفعله وللميّت.

وفي حديث آخر للإمام الصادق عليه السلام:

(١) سيأتي في الفصل الخامس من القسم الثاني من الكتاب.

إذا تصدّق الرجل بنيّة الميت أمر الله تعالى جبرائيل أن يحمل إلى قبره سبعين ألف ملك في يد كلّ ملك طبق فيحملون إلى قبره.

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: لا يأتي على الميت ساعة أشد من أول ليلة دفن فيها، فارحموا موتاكم بالصدقة، فإن لم تجدوا فليصلّي أحدكم ركعتين... فيبعث الله من ساعته ألف ملك إلى قبره، مع كل ملك ثوب وحُلّة، ويوسع في قبره من الضيق إلى يوم يُنفخ في الصور.

هذا بالإضافة إلى عشرات الأحاديث الأخرىٰ.

ومما لا بدّ معرفته أن المراد بالحفرة والقبر في الأحاديث المذكورة هو نفس هذا القبر والحفرة التي يدفن فيها الميت، أو هناك شيء آخر؟.

فإن كان المقصود نفس هذا القبر وهذه الحفرة فما هو الجواب علىٰ الأسئلة التالية:

أ ـ الذين يموتون في البحر ولا يمكن إخراجهم من مياهه لدفنهم في الأرض، أو الذين تربط أجسادهم بمواد ثقيلة وتُرمىٰ في البحر لتكون طُعماً للحيوانات البحرية، كيف يمكننا أن نطبّق هذه الأحاديث التي تقول أن الأرواح تخرج في عصر كل يوم وتذهب ليلاً إلى جنّة خاصة ثم تعود في الصباح إلى القبور والحفر؟

وكيف يوصل الله عز وجل الخيرات والصدقات إلى قبورهم في حين أنهم طعمة للحيوانات البحرية؟

وكيف يوسّع لهم في قبورهم في حين أنهم لا يملكون قبراً و...

ب ـ الذين يُتوفّون نتيجة احتراق أبدانهم حتى أنهم يتحوّلون إلى رماد ويفنون تماماً بما لا يمكن أن يُتصور أن يكون لهم قبر لعدم بقاء أي أثرٍ لأبدانهم، كيف يمكننا أن نفهم طبق ما ورد من أحاديث أنهم سيخرجون من قبورهم ليلاً ويذهبون إلى جنّة ثم يعودون في الصباح، كذلك مسألة الخيرات

والصدقات والتوسيع في القبر؟

ج ـ وتتكرر هذه الأسئلة حول قبور الناس (ما عدا الأنبياء والأوصياء والعلماء والصلحاء التي لا تُعدم عادة) فإنها تتعرض للخراب بعد مرور مُدّة من الزمان، وكثيراً ما تدخل في المدن وتجري عليها الطرقات، فلا يكون لأصحابها قبر في هذه الأرض، فكيف سيخرجون منها ليلاً إلى الجنّة ويعودون صباحاً؟ وكيف تصلهم الخيرات والصدقات في قبورهم، وكيف يوسّع عليهم فيها؟

د ـ القبور التي يُجدد بناؤها، وكثيراً ما يُدفن فيها أُناس جُدد، فكيف يصدق عليها أن تكون قبوراً للسابقين؟.

هـ ـ جرت عادة الهنود وبعض الأقوام الأخرى بحرق أجساد موتاهم ورمي رمادها في الهواء، أو في ماء معيّن، فكيف ستُعذب أرواحهم في قبورهم حتى يوم القيامة وبأي قبر؟.

و ـ ما معنى توسيع القبر الذي ورد في بعض الروايات، والأدعية التي تؤثر في ذلك؟ فهل يوسع نفس هذا القبر الذي دُفن فيه الميت؟ وإن كان نفس هذا القبر يقع عليه التوسيع فما حال القبور المجاورة فهل تتأثر هذه القبور وتضيق وتتسع على حساب بعضها الآخر؟ أو أنها تنتقل إلى مكان آخر؟.

وما العدالة في هذه الحالة؟ وإن تم نقلهم إلى أمكنة أخرى فهل سيخرجون من صفة القبر الأول؟.

وإن حدث هذا فما الدليل لنا على حدوثه؟ و. . .

ز ـ إن كان القبر الذي وردت فيه الروايات أنه إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران إن كان هو المقصود بحدوده هذه التي لا تتجاوز (٤٠× ٤٠× ١٧٥ سنتيمتر) كيف يمكن أن يصبح جنّة مع كل تلك

الأشجار والمياه التي تحويها الجنّة؟.

وكذلك الحفرة التي تكون حفرة من حفر النيران بما فيها من عذاب مختلف، هل تكفي لأن تكون كذلك؟.

إن هذه نماذج من أسئلة تُطرح بشأن هذه الأحاديث التي ذكرناها، وينبغي إعطاء جواب لها، فمع غضّ النظر عن أن هذه الروايات لها سند صحيح مرتبط بالأئمة المعصومين عليهم السلام فإنها تشكّل بمجموعها معانٍ وصل ذكرها إلى حدّ التواتر المعنوي، ولا يمكن إنكار صدورها عن الأئمة الأطهار عليهم السلام مما يوجب علينا أن نجد لها التوجيه والتأويل والفهم الصحيح.

فإن جاء الجواب أن قدرة الله عز جل فوق كل ما ذكرنا من تساؤلات واعتراضات، فهي قادرة على أن تجعل الأشجار الطويلة العريضة في حفرة صغيرة، فإن الجواب على ذلك ما روي من كلام الإمام الصادق أو الباقر عليهما السلام للذي سأل أحدهما هل إن الله عز وجل قادر على أن يجعل هذه الدنيا بوسعتها أن يجعلها في بيضة دجاج دون أن تصغر الدنيا أو تكبر البيضة؟.

فأجاب الإمام عليه السلام أن هذا العمل من المحالات وقدرة الله لا تتعلق بالمحال.

نقول إن القبر والحفرة لهما معنى آخر:

لقد رأينا أن الإنسان بعد أن يموت يوضع في حفرة ذات أبعاد محددة تُسمّىٰ القبر، ثم يُلقىٰ عليه التراب وتُغلق هذه الحفرة بشكل كامل كي يُحمىٰ جسده من الحيوانات الوحشية، وأيضاً يُتخلّص من العفونة التي ستتولد في بدنه نتيجة التفسّخ مما قد يؤذي الحياة الإنسانية والبيئة.

ورأينا أيضاً بأم أعيننا أن هذه الأجساد المدفونة ستبلىٰ بعد مدّة من

الزمن حتى العظام منهـا ستتحول إلى تـراب، فلو فتحنا القبـر حينها سـوف لا نجد إلا تراباً خالياً من أي أثر لإنسان.

وبهذه المناسبة أذكر لكم قصّة وقعت لنا في المدينة المنورة قبل عشـرة سنوات تقريباً، عند زيـارتنا قبـر النبي صلى الله عليه وآلـه في موسم الحـج، حيث فكّرت حينها أن أزور قبر عبدالله بن عبـد المطلب والـد النبي صلى الله عليه وآله، فذهبت مع أحد الأصدقاء إلى محل القبر وفق العنوان الذي أعطي لنا، فلم نجد أي أثر لقبر، فسـألنا رجـلاً عجوزاً يعيش في تلك المنـطقة عن مكان القبر فقال: إنه كان هنا.

وأشار إلى نقطة محـددة ثم أضاف: إن الحكـومة قـد نبشت القبر قبـل عدّة سنوات فلم تجد فيه أثراً لشيء، فخرّبته وجعلته جزءاً من ميدان عام.

وعلى أي حال، مما لا شك فيه أن القبور تخلو من سكّانهـا بعد مـرور فتـرات طويلة سـوىٰ قبور الأنبيـاء. والأئمة عليهم السـلام والأولياء وعبـاد الله الصـالحين، فإن أجسـادهم تبقىٰ سالمـة كما ثبت في التـاريخ والمشـاهـدات العينيّة.

فإذاً بملاحظة تلك الأسئلة التي تفتقد إلى الجواب، وهذه المشـاهدات والتجـارب العمليّة نتيقّن أن مقصـود الأئمة عليهم السـلام من الحفـرة والقبـر ليس هو نفس هذا المكان الصغير من الأرض، بل المراد المكان المخصوص للإنسان في عالم البرزخ مع ملاحظة ما يلي:

إننا لو دققنا في قوله تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقـاكم**﴾ لوجـدنا أن لكل إنسان ولكل عبد من عباد الله عز وجل مقام في ما وراء هذا العالم (عالم الدنيا)، فهو عندما يغادر هذه الحياة يصـل إلى ذلك المقـام، ويستقر في تلك الرتبة وهذا المقام سيكون للمؤمنين روضة وللكفّـار وأعداء البشـرية حفـرة من حفر النيران.

ومن مـواصفات هـذا المكان حسب الـروايـات الـواردة أن لـه درجـات

مختلفـة، ومراتب عـديـدة، وبـالأخص المكـان المتعلّق بـالمؤمنين في عـالم البرزخ، فإنه قابل للتوسعـة، فلو أهدىٰ لهم أحـد أقربـائهم أو أصدقـائهم من الخيرات شيئاً أو الصدقات فإن ذلك المكان سيُوسّع عليهم، وسوف يـدركون هذه السعة.

ولتأييد هذه الحقيقة نذكر إحدى الروايـات التي سبق أن وردت معنا في هـذا البحث، فقد روى المـرحوم المجلسي رحمـه الله في بحـار الأنـوار عن المحـاسن: «ابن محبوب، عن ابـراهيم بن إسحاق قـال: قلت لأبي عبـدالله (ع): أين أرواح المؤمنين؟.

فقـال: أرواح المؤمنين في حجرات في الجنّـة، يأكلون من طعـامهـا، ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها. . . »[1].

تـلاحظون معنـا أن الإمام عليـه السلام حـدّد مكـانـاً للمؤمن في عـالم البـرزخ، وهـو حجـرة من حجـرات الجنّـة، دون أن يتحـدّث عن القبـر المتعارف، ولو كان هو المراد في الأمر لاختلف تعبيـر الإمام عليـه السلام في ذلك.

إذاً وعلى ضوء هذا التوضيح ظهر لنا أن المـراد من الحفرة والقبـر عالم البرزخ، وهو مكان قابـل للسعة، وهـو المكان الـذي تغادره الأرواح ليـلاً إلى مكان أفضل ثم تعود إليه في الصبـاح، وهو المكـان الذي يمكن أن تـأتي فيه الملائكة بأطباق مليئة بالنعم الإلهيـة، وهو المكـان الذي يمكن أن تكـون فيه أشجـار وفـواكـه للمؤمنين، وللكـافـرين، والمشـركين محـلّ عـذاب وأفـاعي وعقارب وما شاء الله من العذاب.

يبقى هنا سؤال ينبغي الجواب عنـه، وهو: إن كـان المقصود من القبـر والحفرة في كلام الأئمة عليهم السلام ذلك المكان الذي أشرنا إليه في عـالم

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص٢٣٤ الحديث ٤٩.

البرزخ فلِمَ لم يُصرّح به، بل ورد في كلامهم عليهم السلام مصطلح الحفرة والقبر؟.

وجواب هذا السؤال يتلخّص بعدّة أمور:

أولاً: إن عموم الناس في ذلك الزمان كانوا بعيدين عن درك الواقعيات، ولم يكونوا يتجاوزوا حدّ المشاهدات الطبيعية، فهم لا يفكّرون ولا يفهمون سوىٰ ما يرونه من قبرٍ يُوضع فيه الإنسان، لذا اضطر الأئمة عليهم السلام إلى استعمال مصطلح القبر والحفرة للتعبير عما يريدون.

ثانياً. لم يمنع ذلك من تصريح الأئمة عليهم السلام في مقامات أخرىٰ لأولئك الذين كانوا قادرين على درك الحقيقة وتصوّر ما وراء الطبيعة، كما ورد في حديث ابراهيم بن إسحاق حين قال له الإمام عليه السلام: إن الأرواح تكون في حجرات من الجنّة.

وفي أحاديث أخرى: إن أرواح الكفار في حضرموت (سيأتي توضح موضوع وادي حضرموت في البحث الآتي إن شاء الله).

الفصل الخامس

أين يقع برهوت؟

إن من الأمور التي ترتبط بعالم البرزخ هو «برهوت». وبرهوت يشبه وادي السلام من حيث كونه محلاً للأرواح بعد الموت، إلا أن وادي السلام يختصّ بأرواح المؤمنين أما وادي برهوت فيختصّ بأرواح الكفّار والمشركين والمنافقين.

لقد مرّ بنا الحديث عن برهوت ووادي حضرموت فيما تقدّم من صفحات هذا الكتاب، ولذا ينبغي لنا أن نبسط القول في موضوع برهوت ومواصفات هذا المكان، لنرفع أي إبهام قد يرد على الأحاديث المشتملة على ذكره، وسيكون ما نذكره من معاني لبرهوت هو من الأحاديث الشريفة أيضاً:

١ ـ روىٰ المرحوم الشيخ الكليني في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: «... عن أبي عبدالله(ع) عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين(ع): شرّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت، وهو الذي بحضرموت، ترده هام الكفّار»[1].

٢ ـ وروىٰ أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام:

(١) الكافي ج٣ ص ٢٤٦ الحديث ٤.

«. . . عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): . . . خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، وشرّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت، وهو وادي بحضرموت يرد عليه هام الكفّار وصداهم»[1].

٣ ـ وروى المرحوم المجلسي عن الشيخ الكليني في بحار الأنوار عن الإمام الصادق عليه السلام:

«. . . عن أبي عبدالله (ع) قال: إن من وراء اليمن وادياً يقال له: وادي برهوت، ولا يجاور ذلك الوادي إلا الحيّات السود، والبوم من الطير، في ذلك الوادي بئر يقال لها: بلهوت، يغدىٰ ويُراح إليها بأرواح المشركين، يسقون من ماء الصديد. . .»[2].

٤ ـ وروىٰ أيضاً المرحوم الكليني عن ضريس الكناسي عن الإمام الباقر عليه السلام:

«. . . وإن لله ناراً في المشرق خلقها ليُسكنها أرواح الكفار، ويأكلون من زقّومها ويشربون من حميمها[3] ليلهم، فإذا طلع الفجر هاجت إلى وادٍ باليمن يقال له: «برهوت»، أشدّ حرّاً من نيران الدنيا، كانوا فيها يتلاقون، ويتعارفون، فإذا كان المساء عادوا إلى النار، فهم كذلك إلى يوم القيامة»[4].

لقد اتضح لنا من هذه الأحاديث الأربعة عدّة أمور:

أ ـ إن برهوت منطقة تقع في نفس هذه الأرض، ويدلّ على ذلك بالخصوص قوله عليه السلام: «شرّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت، وهو الذي بحضرموت ترده هام الكفار».

---

(١) الكافي ج٣ ص ٢٤٦ الحديث ٥.

(٢) بحار الأنوار ج١٧ ص ٣٩٣ الحديث ٤.

(٣) الزقوم كما في كتب اللغة كمفردات الراغب ومجمع البحرين ولسان العرب وروح البيان، نبات مرّ وكريه الرائحة والطعم وله عصير لو مسّ البدن لأصابه الورم والأكياس المائية، ويُطلق أحياناً على كل غذاءٍ سيّء يطعمه أهل جهنم. أما الحميم فهو ماء حار يغلي يُعطىٰ لأهل جهنّم.

(٤) الكافي ج٣ ص ٢٤٦ الحديث ١.

ب ـ إن الأرض التي تحتوي وادي برهوت صحراء يابسة فيها رمال كثيفة، ولا يعيش فيها إلا الأفاعي السوداء وطائر البوم الذي يُعرف بين الناس بطائر الشؤم، دون أن يكون في هذه الأرض شيء آخر، وهذه الصحراء تقع في جزيرة العرب وفي منطقة اليمن الحالية.

ج ـ كما أن شروق وغروب الشمس حالتين مشهودتين للمؤمنين بما يجعل لأرواحهم في عالم البرزخ ليل ونهار، كذلك الحال للكفّار بعد الموت فإن شروق وغروب الشمس مشهودان في برهوت، ففي الليل يذهبون إلى محلٍ خاص في جهنّم وفي النار يعودون إلى صحراء برهوت.

د ـ وكما قلنا سابقاً أن أهل الإيمان في عالم البرزخ تنعمّون بالنعم الإلهية في الجنّة أما الكفّار فهم في برهوت أحد دركات جهنّم يشربون فيها الزقّوم والحميم، ويُعذّبون فيها بألوان العذاب.

وقد ورد في كتب اللغة والتفسير عن برهوت ما يلي:

١ ـ ذكر المرحوم الشيخ فخر الطريحي في كتابه مجمع البحرين:

«برهوت وادٍ في حضرموت، فيه بئر يتصاعد منها لهيب الإسفلت مع صوت الغليان، وريح كريهة، واشتهر عنها أن أرواح الكفّار تجتمع في هذا البئر، وتصبح في الليل من الألم قائلة: يا دومة»[١].

٢ ـ وذكر فريد وجدي في دائرة المعارف:

«حضرموت إقليم من جزيرة العرب على شاطىء بحر عُمان، قليلة الزرع والخيرات، إمارتها في يد شيوخ، قبائلها ومدنها المشهورة: «تريم، وقصير، ويروم»، في شمال حضرموت صحراء الأحقاف بسهولها المشهورة بالوعوثة حتى أنه لا يطأ قدم حتى تغور في الرمال لتعومتها، فيختفي فيها

---

(١) مجمع البحرين ج٦ ص ٣٤٢.

الرجل كما يختفي في لجّة من الماء»[1].

الأحقـاف اسم لصحراء واسعـة جداً ذات رمـال متحركـة وكثيفـة تحيط بأرجائها، وقد ورد ذكرها في الآيـة (٢١) من سورة الأحقـاف حيث ابتلي قوم عادٍ بهذه الصحـراء، ولقد تعـرضت كتب الأحاديث والتفسيـر لهذا المـوضوع بتفصيلٍ مهم، إلا إننا سوف لا نذكـره ابتعاداً عن التـطويل في مـوضوع هـذا الكتاب، ومن أحبّ التفصيل والزيادة فليراجع الكتب المختصّة به[2].

إذاً فبرهوت يقع في نفس تلك الصحراء المعروفة بالأحقاف الواقعة في حضرموت في دولة اليمن، وبتلك المواصفات التي ذكرهـا مجمع البحـرين، ودائرة المعارف لفريد وجدي، وبذلك يتضح لنا من الأحاديث المذكورة:

أ ـ إن ماءها شرّ ماء على وجه الأرض.

ب ـ لا يعيش فيها إلا الأفاعي السوداء وطائر البوم فقط.

ج ـ إن أرواح الكفّـار والمشـركين تتـردّد على ذلـك المـاء وذلـك البئـر ويتناولون منه.

نسأل الله عز وجـل أن يعافينـا ويحفظنـا من أن نصل إلى ذلـك المكان بلطفه ورحمته.

(١) دائرة المعارف فريد وجدي ج٣ ص٤٥٤.

(٢) على الراغبين في المزيد حتى الاطلاع على هذا الموضوع، وهو صحـراء الأحقاف، وعـذاب أصحاب عاد في تلك الصحراء فليراجع تفسير الآية(٢١) من سورة الأحقـاف وعلى الأخص ما ورد فيها من روايات في تفسير نور الثقلين الجزء الخامس صفحة (١٧) وما بعد.

الفصل السادس

محل النبي(ص) والأئمة الطاهرين(ع) في عالم البرزخ

من المؤسف أننا لم نعثر على حديثٍ يشرع لنا ويعرّفنا مكان الأئمة الطاهرين عليهم السلام في عالم البرزخ إلا على حديث واحد، وهو وللأسف ضعيف من حيث السند، ومن حيث ارتباطه بالأئمة عليهم السلام، مع إننا نعلم أن الأئمة عليهم السلام يذهبون من بعد ارتحالهم من هذا العالم إلى عالم البرزخ أيضاً، ويمكن أن يكون هذا الحديث كامل الصحة والدقة.

روىٰ المرحوم المجلسي عن المحاسن للبرقي:

«عن أحمد بن محمد، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن محمد بن عمار، عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبدالله(ع) نركض برجله الأرض فإذا بحر فيه سقف من فضّة، فركب وركبت معه حتى انتهىٰ إلى موضع فيه خيام من فضّة فدخلها ثم خرج فقال: رأيت الخيمة التي دخلتها أولاً؟

فقلت: نعم.

قال: تلك خيمة رسول الله(ص)، والأخرى خيمة أمير المؤمنين، والثالثة خيمة فاطمة، والرابعة خيمة خديجة، والخامسة خيمة الحسن، والسادسة خيمة الحسين، والسابعة خيمة علي بن الحسين، والثامنة خيمة

أبي، والتاسعة خيمتي، وليس أحد منّا يموت إلا وله خيمة يسكن فيها»[1].

إن المستفاد من هذا الحديث [على فرض صحّة صدوره من المعصوم عليه السلام] أن الأئمة الهداة عليهم السلام لهم مكان مخصوص في عالم البرزخ، وأن الإمام الصادق عليه السلام قد كشف لأبي بصير هذا العالم مع أنه من عوالم الغيب كمعجزة وكرامة له عليه السلام.

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٤٥ الحديث ٧٥.

الفصل السابع

ما هو شكل الأرواح في عالم البرزخ؟

إن تصور الشكل الذي ستظهر به الأرواح وهي في عالم البرزخ موضوع جدير بالملاحظة والحديث.

يسمع أحياناً من عامة الناس أن الأرواح بعد خروجها من البدن تتصوّر بصورة طيور صغيرة كالعصافير، والطيور الملوّنة الصغيرة، في حين أن هذه التصوّرات بعيدة عما تشير إليه الأحاديث المذكورة بشكل كبير، وسنذكر لكم مجموعة من الأحاديث الصحيحة التي توضح فساد هذه العقائد الباطلة الراسخة في أذهان حتى بعض محبّي أهل البيت عليهم السلام وعلّة ذلك؟.

١ - روى المرحوم الكليني عن علي بن ابراهيم:

«علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولّاد الحنّاط، عن أبي عبدالله(ع) قال: قلت له: جعلت فداك، يروون أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضرٍ حول العرش؟

فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، ولكن في أبدان كأبدانهم»[1].

---

(١) الكافي ج٣ ص ٢٤٤ الحديث ١.

٢ ـ وروىٰ المرحوم الكليني أيضاً في الكافي حديثاً، وإن كان ضعيفاً من حيث السند. إلا أن معناه وما يحويه من مفاهيم يتطابق مع الأحاديث الصحيحة، ولهذا اعتمدنا عليه وسأذكره لكم:

«... عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبي عبدالله(ع) فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟.

فقلت: يقولون: تكون في حواصل طيور خضرة في قناديل تحت العرش، فقال أبو عبدالله(ع): سبحان الله، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، يا يونس إذا كان ذلك أتاه محمد(ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين(ع) والملائكة المقرّبون، فإذا قبضه الله عز وجل صيّر تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا»[(١)].

٣ ـ وذكر المرحوم المجلسي نفس هذا الحديث مع اختلاف بسيط في المتن وبسند آخر ورد في كتاب أمالي الشيخ الطوسي[(٢)] وقد أعرضنا عن ذكره للاختصار.

إن الأحاديث المذكورة أعلاه ونظائرها تدلّ على ما يلي:

إن الاعتقاد بأن روح المؤمن أو روح أي إنسان آخر تكون بعد الموت بصورة طائر، أو في حوصلة طائر وهو يطير عند عرش الله عز وجل هو اعتقاد باطل وفاسد، وهي أخبار موضوعة وضعتها بعض الفرق الإسلامية.

---

(١) الكافي ج٣ ص ٢٤٥ الحديث ٦/ ولقد ورد في هامش الجزء ٣ من الكافي صفحة (٢٤٦) الرقم (٢) أن البدن البرزخي هو بدن لطيف يعيش في عالم البرزخ، ولا يمكن رؤيته بالعين الدنيوية، في حين ذكرنا في حديث حبّة العُرني في الفصل الثالث من هذا الكتاب (مكان أرواح المؤمنين في عالم البرزخ) أن الأمير عليه السلام كان ينظر إلى أرواح المؤمنين وهم بأبدانهم البرزخية، إلا أن حبّة العُرني لم يكن يراهم، وقد قال له الإمام عليه السلام أن لو كشف له الغطاء لرآهم.

(٢) الأمالي ص ٢٢٩ ـ ج ٦ بحار الأنوار حديث ٣٢.

ب ـ وكما قلنا سابقاً أن لا فرق بين المؤمن والكافر في أن روح الإنسان تكون بعد الموت في قالب مثالي يشبه نفس ذلك البدن الذي كانت فيه في عالم الدنيا، وهذا القالب والبدن البرزخي بقدر من الشبه مع البدن الدنيوي بحيث عندما يرحل شخص آخر من عالم الدنيا إلى عالم البرزخ ورأى ذلك الشخص المتوفىٰ سابقاً فسيعرفه، وهو أيضاً سيعرف صاحبه الجديد.

مع ملاحظة أن القالب المثالي لا ينحصر بعالم البرزخ بل يمكن أن يكون لكل إنسان عدة قوالب مثالية، ويكون أحدها مثلاً في حالة النوم حيث تنتقل روح الإنسان بعد منامه إلى ذلك القالب، مع فرقٍ هو أنه عند النوم تخرج من بدن الإنسان الروح الإنسانية والنفس الناطقة فقط، أما عند الموت فتخرج جميع حالاته الروحية من بدنه.

وذكر المرحوم الشيخ البهائي رحمه الله في كتابه «مفتاح الفلاح» في فصل «أعمال وقت الزوال إلى الغروب» عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «ما من مؤمن إلّا وله مثال في العرش، فإذا اشتغل بالركوع والسجود ونحوها فعل مثاله مثل فعله، فعند ذلك تراه الملائكة فيصلّون ويستغفرون له، وإذا اشتغل العبد بمعصية أرخىٰ الله تعالى على مثاله ستراً لئلّا تطّلع الملائكة عليها، فهذا تأويل: (**يا من أظهر الجميل وستر القبيح**)».

إذاً لا حاجة لتصور أن روح المؤمن تدخل في حوصلة طائر فيذهب هذا الطائر ليحلّق حول عرش الله عز وجل مع وجود القالب والبدن المثالي.

وفي نهاية هذا البحث يجدر بنا أن نذكر أن أرواح الكفّار والمشركين تدخل في قوالب مثالية كما هو الحال لأرواح المؤمنين إلا أنها ستعذّب في ذلك العالم خلافاً لها.

وذكر المرحوم المجلسي عن الإمام الصادق عليه السلام: «وقد روي عن الصادق(ع) في ما سئل عمّن مات في هذه الدار أين تكون روحه؟.

قال(ع): من مات وهو ماحض الإيمان أو ماحض للكفر محضاً نُقلت روحه من هيكله إلى مثله في الصورة، وجوزي بأعماله إلى يوم القيامة، فإذا بعث الله في القبور أنشأ جسمه، وردّ روحه إلى جسده، وحشره ليوفيه أعماله.

فالمؤمن ينقل روحه من جسده إلى مثل جسده في الصورة فيجعل في جنّات من جنان الدنيا يتنعّم فيها إلى يوم المآب، والكافر ينقل روحه من جسده إلى مثله بعينه ويُجعل في نار فيُعذّب بها إلى يوم القيامة...»[1].

يستفاد من هذا الحديث:

أ ـ لا فرق بين روح المؤمن والكافر في انتقالهما بعد الموت إلى قالب مثالي.

ب ـ كلٌّ من المؤمن والكافر يعيش في عالم البرزخ أعماله ويرى جزاءها من خير أو شر في ذلك العالم على طول زمانه.

ج ـ إن الأرواح بعد أن تقوم القيامة وتُحيىٰ الأبدان البالية تنتقل مجدداً من قوالبها المثالية إلى تلك الأبدان الحقيقية.

د ـ إن عالم البرزخ والجنّة والنار فيه يكون في نفس هذه الدنيا، إلا أنه غائب عن الأنظار.

هـ ـ إن أرواح المؤمنين والكفار في قوالب مثالية (بدن برزخي) وليست في حواصل طيور ملوّنة.

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٥٣ الحديث ٨٧.

الفصل الثامن

هل تلتقي الأرواح فيما بينها؟

إن أرواح المؤمنين والكافرين بعد الموت تلتقي مع بعضها ـ كما ورد في الروايات ـ في عالم البرزخ، وتجري بينها الأحاديث والمحاورات (طبعاً للمؤمنين مكان مخصوص وللكافرين مكان آخر، فمتى ما مثلاً انتقل أحد المؤمنين من الدنيا إلى عالم البرزخ فإن أصدقاؤه من المؤمنين في ذلك العالم أو أرحامه يلتقون به ويسألونه عن أحوال بقيّة أصحابهم وأقربائهم في الدنيا، وهناك عدّة أحاديث تذكر هذا الأمر سنورد منها نماذج قليلة:

١ ـ ذكر المرحوم الكليني في كتابه الكافي عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام:

«. . . عن أبي بصير، عن أبي عبدالله(ع) قال: إن الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنة تعارف وتسائل، فإذا قدمت الروح على الأرواح يُقال: دعوها فإنها قد أفلتت من هول عظيم.

ثم يسألوها، ما فعل فلان؟ وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حيّاً ارتجوه، وإن قالت لهم: قد هلك، قالوا: قد هوى هوى»[1].

(١) الكافي ج٣ ص ٢٤٤ الحديث ٣.

وبمناسبة هذا الحديث ننقل لكم رؤيا صادقة لتكون تصديقاً واقعياً لما ورد فيه:

ذكر العالم الكبير آية الله الحاج الشيخ محمد صادق الطهراني أن العالم الجليل المرحوم آية الله الحاج الشيخ عباس الطهراني كان أحد كبار علماء طهران، وقد توفي، فذكر أحد محبّيه والذي كان في ذلك الوقت موظّفاً في البنك الوطني في «قم» وكان من المؤمنين: كنت أرغب أن أرىٰ المرحوم الشيخ في المنام لأعرف عن حاله في عالم البرزخ، فسهرت ليالٍ كثيرة في القيام، بالأعمال الواردة في مفاتيح الجنان والتي يُراد فيها رؤية الأموات.

وفي إحدىٰ الليالي رأيت نفسي في صحراء وسيعة وعندها سرت فيها وصلت إلى باب حديقة خضراء، وقد ألهمت في تلك اللحظة أن هذه الحديقة والروضة تعود للمرحوم الطهراني، ثم فجأة انفتحت تلك الباب، وظهرت لي ورقة كتب فيها بيتين من الشعر:

إني ضيف جمال حور العين   تعب من الطريق كالجنين
إني معذور من رؤيتك الليلة   لا تحزن فأنا من المؤمنين[1]

ثم استيقظت من منامي وأنا أحفظ البيتين، وقد علمت أن المرحوم الشيخ في حالٍ حسن في عالم البرزخ.

إن الهدف من نقل هذه الرؤيا هو تصديق ما ورد في الحديث المذكور ونلاحظ:

أ ـ إن الروح إذا خرجت من عالم الدنيا تتلقّاها الأرواح الأخرىٰ فيقال لهم: اتركوه، لقد خرج لتوّه من هو عظيم، وهذا يوافق ما ورد في عجز البيت الأول، فقد شبّه المرحوم الشيخ نفسه بالجنين الخارج من رحم أمّه مشبهاً خروجه من الدنيا بخروجه من الرحم، مما يعطي مصداقاً واقعياً لما ورد في

(١) ذكرنا تعريب البيتين الفارسيّين.

الحديث الشريف.

ب ـ سيرد في الأحاديث الآتية في الفصل الحادي عشر إشراف أرواح المؤمنين على أعمال وأفكار الأحياء، وهذا يطابق ما ورد في هذه الرؤيا فمع أن المرحوم الشيخ لم يلتقِ بصاحب الرؤيا ولم يسمع منه مراده إلا أنه علم بما يريد فأجابه أن لا تحزن، فإني من المؤمنين مشيراً إلى حسن حاله في عالم البرزخ.

ج ـ لقد أثبتنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب أن شروق وغروب الشمس والقمر مؤثران على عالم البرزخ، وفي هذه الرؤيا نجد أن المرحوم الشيخ قد ذكر في بداية صدر البيت الثاني من شعره كلمة الليل.

٢ ـ ذكر المرحوم المجلسي في بحار الأنوار نقلاً عن ابراهيم بن إسحاق: «. . . قلت لأبي عبدالله(ع): أين أرواح المؤمنين؟.

فقال: أرواح المؤمنين في حجرات في الجنّة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها ويقولون: ربّنا أقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا»[١].

إن هذا الحديث قد تقدّم في الفصل الثالث من كتابنا هذا، ولم نرد التكرار بل قصدنا أن نبيّن ملاقاة أرواح المؤمنين في عالم البرزخ مع بعضهم البعض وتزاورهم.

وبناءً على هذين الحديثين يتضح لنا ويثبت أن أرواح المؤمنين في عالم البرزخ تعيش مجتمعة، وتلتقي وتتزاور فيما بينها، وتتحاور وتتساءل عن أحوالها، وعلى الأخص ما ورد في حديث حبّة العُرني حيث ذكر له أمير المؤمنين عليه السلام أن أرواح المؤمنين في وادي السلام تجلس في حلقات حلقات وتتسامر وتتحادث فيما بينها.

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٣٤ الحديث ٤٩.

الفصل التاسع

هل تزور أرواح الأموات أقربائها؟

إن من المسائل الجديرة بالاهتمام هو هذا السؤال هل إن روح الإنسان التي تخرج من عالم الدنيا تنقطع عن هذا العالم وعن ساكنيه أو أن لها نوع ارتباط معهما؟.

للإجابة على هذا السؤال هناك أحاديث كثيرة عن الأئمة عليهم السلام سننقل لكم أربعة منها رعاية للاختصار:

١ ـ فقد روىٰ المرحوم الشيخ الكليني عن علي بن ابراهيم القمي: «... عن أبي عبدالله(ع) قال: إن المؤمن ليزور أهله فيرىٰ ما يجب ويُستر عنه ما يكره، وإن الكافر ليزور أهله فيرىٰ ما يكره ويُستر عنه ما يحبّ، ومنهم من يزور كل جمعة، ومنهم من يزور على قدر عمله»[1].

٢ ـ وذكر المرحوم الكليني في كتاب الكافي عن أبي بصير: «... عن أبي عبدالله(ع) قال: ما من مؤمن ولا كافر إلا وهو يأتي أهله عند زوال الشمس، فإذا رأىٰ المؤمن أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك، وإذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة»[2].

(١) الكافي ج٣ ص ٢٣٠ الحديث ١.
(٢) الكافي ج٣ ص ٢٣٠ الحديث ٢.

٣ ـ وذكر المرحوم المجلسي عن إسحاق بن عمار: «. . . عن أبي الحسن الأول(ع) قال: سألته عن الميت يزور أهله؟.

قال: نعم.

فقلت: في كم يزور؟.

قال(ع): في الجمعة، وفي الشهر، وفي السنة على قدر منزلته»[1].

٤ ـ وفي حديثٍ آخر عن إسحاق بن عمار: «. . . قال: قلت لأبي الحسن الأول(ع): يزور المؤمن أهله؟.

فقال: نعم.

فقلت: في كم؟.

قال(ع): على قدر فضائلهم، منهم من يزور في كل يوم، ومنهم من يزور في كل يومين، ومنهم من يزور في كل ثلاثة أيام.

قال: ثم رأيت في مجرى كلامه أنه يقول: أدناهم منزلة يزور كل جمعة.

قلت: في أي ساعة؟.

قال(ع): عند زوال الشمس، ومثل ذلك. . .»[2].

لقد وردت في هذه الأحاديث الأربعة أمور مهمة وهي:

ألف: إن عالم البرزخ هو نموذج مصغّر للآخرة ولعالم القيامة، فكل مؤمن أو كافر يرى في عالم البرزخ صورة حاله في عالم القيامة، وكما ورد في الحديث النبوي الشريف أن القبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران.

وعلى هذا فعندما تزور أرواح المؤمنين أقرباءها في عالم الدنيا فإن الله

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٥٧ الحديث ٩١.

(٢) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٥٧ الحديث ٩٣.

عز وجل يستر عنها أعمالهم القبيحة حذراً من اغتمامها لرؤية ذلك، وعلى العكس عندما تزور أرواح الكفار والمشركين أقرباءها يُريهم الله عز وجل أعمالهم الصالحة وكذلك أعمالهم القبيحة مما يدخل الهمّ والحزن عليهم ويكون عذاباً لهم.

باء: إن قوله عليه السلام «على قدر عمله، على قدر منزلته، على قدر فضائلهم» الوارد في الأحاديث الشريفة تكشف عن الرتبة والمقام الذي يحتله الميت في عالم البرزخ لدى الله عز وجل، وهذه الرتبة ترتبط بأعمال الإنسان في عالم الدنيا، ولذا ورد في القرآن الكريم: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

فإن الله عز وجل يريد لعباده التطهّر من الرذائل الأخلاقية، والتلبّس بالمُسحة الملكوتيّة ليروا النعيم في العوالم الأخرى ومنها عالم البرزخ، ويعيشوا في وسعة بهيجة حتى يستطيع هذا الإنسان الترابي أن يفوت الملائكة الأبرار.

إن الأئمة المعصومين عليهم السلام أرادوا باستعمال هذه العبارات أن يبيّنوا معنى الآية الكريمة، وشخّصوا موقع الإنسان الصالح، فمثلاً عندما نقرأ أن المرحوم المحدّث القمي صاحب مفاتيح الجنان يأتي في عالم الرؤيا إلى زيارة ابنه ويرشده ويعظه ويحوّل له مبلغاً من المال (كما سيأتي) أو ذلك التاجر الطهراني الذي يأتي لولده في ثلاث ليالٍ متوالية وينبّهه على ديون لم يكن قد أوردها في سجلاته فإن كل ذلك نتيجة أعمالهم الصالحة في الدنيا، فقد حصلوا على مقامٍ جليل ومرتبة عالية عند الله عز وجل، ممّا أعطاهم هذه الاختيارات وهذه الصلاحية في القيام بهذه الأعمال، ولقاؤهم وزيارتهم لأقربائهم إنما هو من هذا القبيل، وكلّما كان فضل الإنسان أكثر كانت سعة حركته وصلاحياته أكثر.

الفصل العاشر

إشراف أرواح المؤمنين على أعمالنا وأفكارنا؟

لم يرد في أخبار وأحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام حديث صريح في هذا الموضوع، ولكن يستفاد ذلك من بعض العبارات الواردة ضمن الأحاديث المذكورة بالإضافة إلى بعض الوقائع الخارجية المؤيّدة لها.

فمثلاً أقوالهم عليهم السلام: «على قدر عمله، على قدر منزلته، على قدر فضائلهم» الواردة في أحاديثهم كل ذلك يبني العظمة الروحية والمقام والمرتبة السامية للإنسان عند الله عز وجل.

ومع غض النظر عن هذه الكلمات وملاحظة الآية الشريفة من سورة التوبة: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين﴾**[1].

فمع أن كلمة المؤمنين فسّرت بأمير المؤمنين عليه السلام وأولاده الطاهرين إلّا أننا نعلم أن الأئمة الهداة هم أفضل مصداق للمؤمن، ولا ينافي ذلك أن يراد بهذه الكلمة القرآنية غيرهم من المؤمنين، مما يجعل لجلالهم وعظمتهم الروحية أن يطّلعوا وهم في عالم البرزخ على أعمال وأفكار أهلهم وعيالهم في عالم الدنيا.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

فإذا رأينا أن الإمام عليه السلام يذكر عن بعضهم أنه يلتقي بعياله كل يوم مرّة، وعن بعضهم الآخر كل أسبوع مرة، وبعضهم كلّ شهر، أو كل سنة مرة، ثم يعقّب ذلك بقوله: «على قدر عمله، أو: على قدر منزلته، أو: على قدر فضائلهم» كما ورد في الحديث الشريف المذكور فإنما هو إشارة إلى مقام الأموات والأرواح عند الله عز وجل.

ومن الطبيعي لو وصل الإنسان إلى تلك الدرجة من الكمال في إنسانيّته في عالم البرزخ فمن الممكن أن يطّلع على الحياة في عالم الدنيا، ويتعرّف على أسرار أهله كما ورد ذلك بشأن سلمان المحمّدي، وفي شأن الشاب المؤمن المذكور في أصول الكافي.

ولأجل توضيح الصورة أكثر نذكر بعض نماذج الرؤىٰ الصادقة الحاملة لهذه المعاني:

أ ـ ذكر المرحوم الحاج الشيخ علي ابن المحدث القمي قائلاً: كان أن مررت بوضع اقتصادي صعب لمدّة طويلة، حتى فكّرت في أحد الأيام أن أعمل ـ مع كوني طالباً للعلوم الدينية ـ بعض النهار في إحدىٰ الوظائف الرسمية، ولم أطلع أحد على نيّتي تلك، وليلاً في عالم الرؤيا رأيت والدي «المرحوم الشيخ عباس القمي صاحب مفاتيح الجنان» فقال لي: يا شيخ علي، ألا تعتقد أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو بقدر رؤساء هذه الإدارات التي تفكّر بالعمل فيها هل تعتقد أنه لا يفكّر بك؟ نعم، إنه مهتّم بك.

ثم رأيت في نفس تلك الرؤيا أنه قد أعطاني مبلغاً من المال وقال لي: خذه لتأمين حياتك.

فأخذت المال في عالم الرؤيا من والدي إلا أنني عندما استيقظت لم أجد أثراً له في يدي، وفي الصباح طُرق باب منزلنا فلمّا فتحته رأيت رجلاً لا أعرفه فأعطاني مبلغاً من المال وقال: هذا المال بعثه لك والدك، فأخذته وبحمد الله لم أصب بضائقة ماليّة إلى يومنا هذا.

لقد دفن المرحوم المحدث القمي رحمه الله في صحن مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، فكيف كان مطّلعاً على أحوال وأفكار ابنه؟! وأكثر من ذلك كيف استطاع أن يرسل له مالاً؟!.

إن الدائرة التي أراد الشيخ علي في تلك الأيام أن يعمل فيها (دائرة الوثائق الرسمية في حكومة الشاه) كانت ضمن نظام الطاغوت، وكان يعتبر الدخول فيها لطلبة العلوم الدينية في نظر العلماء دخول في طاعة الطاغوت، ومخالفة للشرع، فكيف حصل المرحوم المحدث القمي على إجازة في عالم البرزخ لتنبيه ولده في عالم الدنيا وهدايته؟.

إن كل ذلك يعود إلى شخص المحدث القمي وقربه من الله عز وجل مما أعطاه هذه الصلاحية وحتى تدخّل في حياة ولده بالتوجيه وبإرسال الأموال.

ب ـ روي عن المرحوم الحاج أحمد القمي ابن المرحوم الحاج صادق القمّي أنه قال: كنت في إحدىٰ ليالي الجمعة أقرأ سورة الفاتحة عند قبر والدي فخطر ببالي التساؤل عن فائدة قراءة سورة الفاتحة للميّت، ولم أذكر هذا التساؤل لأحد، وفي نفس تلك الليلة رأيت والدي في المنام فقال لي: «يا أحمد، إن قراءة سورة الفاتحة للميت في عالم البرزخ يشبه...»[1].

وهنا يطرح سؤال آخر: ما هو الارتباط بين فكر السيد أحمد وبين رؤياه التي رآها تلك الليلة؟ ألم يكن اطلاعاً من ذلك العالم الرباني على فكر ابنه وإشرافه عليه؟.

ج ـ الرؤيا التي ذكرناها في الفصل الثامن في ما يتعلق بالمرحوم الشيخ الطهراني وبيتي الشعر المذكورين فيها، وهنا أيضاً نتساءل عن الارتباط بين

---

(١) لقد ذكر المرحوم الشيخ صادق القمر تشبيهاً كان يستعمل في الزمان القديم، ولصعوبة فهمه تركنا ذكره.

نية صاحب الرؤيا وجواب المرحوم في عالم الرؤيا، فهل هناك إلّا أن نعتقد أن المرحوم الشيخ لجلالته وقدره ومنزلته عند الله عز وجل كان مطّلعاً على فكر صاحب الرؤيا ومعرفته برغبته بلقائه.

د ـ قال العالم الكبير آية الله الحاج الشيخ محمد صادق الطهراني: قال لي أحد أصدقائي من الساكنين في قم: إن أحد أقربائي لم يكن يكتب حساباته المالية بشكل صحيح لإخراج الحقوق الشرعية، وأريد أن آتي به إليكم لتعينوه على ذلك.

وبعد إجازتي له بالمجيء جاءني بصحبته بعد عدّة أيام فحسبنا له ما يملك، وحدّدنا ما عليه من حقوق شرعيّة، وكانت قليلة فدفعها، وبعد يومين جاءني وقال: لقد حدثت لي مشكلة.

قلت: ما هي؟.

قال: لقد كان لي أخ وكان يشاركني بالعمل وفي المعيشة، وبعد أن تعرّض لحادث اصطدام توفي، وعندما رأيت مصيره خفت من مصيري وإذا جئتكم وطلبت بتسوية ما عليّ من حسابات شرعيّة، ولكن في الليلة التي بعدها رأيت أخي في المنام فقال لي: يا أخي، لمَ سوّيت حسابك وتركت حسابي؟.

فجئت إليك الآن لكي تتمّ له ذلك إن أمكن.

نجد في هذه الرؤيا الصادقة تساؤلاً واضحاً: هو أن أرواح أموات المؤمنين إن لم تكن مشرفة ومتصلة بأعمال وأفكار الأحياء فكيف حصل الارتباط بين عمل هذا الرجل وبين رؤياه وما كان فيها من رسالة؟! أليس معنى ذلك أن أرواح المؤمنين مشرفة على أعمالنا وأفكارنا؟.

إن هذه الوقائع كثيرة، ولم نرد أن نملأ صفحات كتابنا بها، فإن لم يكن هناك ارتباط واشراف لتلك الأرواح على أعمالنا وأفكارنا لم يكن ليأتي

فلان في عالم الرؤيا لشخص آخر فيقول له: صلِّ صلاتك في أول الوقت، وإن لم يكن هذا الارتباط وهذا الإشراف لم يقل مؤمن آخر في عالم الرؤيا لولده: لمَ لا تذهب إلى مجلس عزاء أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

وبناءً على ما مرّ نعتقد أنّ أموات المؤمنين لكل منهم وبمقدار مقامه ودرجته عند الله عز وجل حدّاً في الصلاحيات والإجازات في الإشراف والاطلاع على أعمالنا ونيّاتنا في عالم الدنيا.

الفصل الحادي عشر

الأموات يسمعون حديثنا ويفهمون كلامنا

إن من المسائل الأخرىٰ المرتبطة بأرواح الأموات في عالم البرزخ: هذا السؤال هل تسمع هذه الأرواح أصواتنا؟ وهل تدرك معاني كلامنا؟.

لقد وردت أحاديث كثيرة عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام بهذا الشأن سنذكر بعضاً منها لقرائنا الأعزاء.

١ ـ ذكر المرحوم المجلسي في كتاب بحار الأنوار:

«روي عن النبي(ص) أنه وقف على قليب بدر، فقال للمشركين الذين قتلوا يومئذٍ وألقوا في القليب: قد كنتم جيران سوءٍ لرسول الله، أخرجتموه من منزله، وطردتموه، ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه، فهل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقاً؟.

فقال له عمر: يا رسول الله، ما خطابك لهامٍ قد صدّيت؟

فقال(ص) له: مه يا بن الخطّاب، فوالله ما أنت بأسمع منهم، وما بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع من حديد ألا أن أُعرض بوجهي هكذا عنهم»[1].

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٥٤.

٢ ـ وذكر المرحوم المجلسي في كتابه أيضاً:

«وعن أمير المؤمنين(ع) أنه ركب بعد انفصال الأمر من حرب البصرة فصار يتخلل بين الصفوف حتى مرّ على كعب بن سورة، وكان هذا قاضي البصرة، فوقف عليه أمير المؤمنين(ع) وهو صريع بين القتلىٰ فقال: أجلسوا كعب بن سورة، فأجلس بين نفسين.

فقال: يا كعب بن سورة، قد وجدتُ ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقاً؟.

ثم قال(ع): اضجعوا كعباً؛ وسار قليلاً فمرّ بطلحة بن عبدالله، فقال: يا طلحة، قد وجدتُ ما وعدني ربّي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقاً؟.

فقال له رجل من أصحابه: يا أمير المؤمنين، ما كلامك لقتيلين لا يسمعان منك؟.

فقال أمير المؤمنين(ع): يا رجل، فوالله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله(ص)»[1].

يُعرف بوضوح من هدين الحديثين أن الأموات يسمعون حديث الأحياء ولكن لأن المتحدّثين في هذين الحديثين هما النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام يمكن أن يتصوّر البعض أن سماع الأموات لحديث الأحياء مشروط بأن يكون المتحدّث نبي أو إمام، ولرفع هذا التوهّم نشير إلى حديثٍ آخر لنثبت أن جميع الأموات يسمعون حديث جميع الأحياء: ذكر المرحوم المجلسي نقلاً عن كتاب النوادر:

«عن أبي عبدالله(ع) قال: إذا زرتم موتاكم قبل طلوع الشمس سمعوا وأجابوكم، وإذا زرتموهم بعد طلوع الشمس سمعوا ولم يجيبوكم»[1].

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٥٥.

(١) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٢٩٧ حديث ١١.

لم يرد في هذا الحديث شرط للمتحـدث أو السامـع، ولكن يستفاد من كلمة «موتاكم» فقط أن المقصود بـالأموات هم المسلمـون لأن المتحدّث هـو الإمام الصادق عليه السلام وكان الحديث موجهاً إلى شيعته.



القسم الثاني

كيفية استفادة الأرواح من الخيرات والصدقات في عالم البرزخ



الفصل الأول

مشروعية زيارة أهل القبور

إن هدف تأليف هذا الكتاب ـ كما قلنا في المقدمة ـ هو معرفة مدى استفادة أرواح المؤمنين من الأعمال الصالحة التي تُهدىٰ إليهم من أبنائهم وأقربائهم وأصدقائهم، وما نوع هذه الفائدة.

وسنحاول في هذا الفصل والفصول الآتية أن نذكر ما أمكننا من روايات وأحاديث شريفة وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بهذا الشأن آملين أن يستفيد منها المؤمنون في حياتهم وبعد وفاتهم.

وسنبدأ في هذا القسم من الكتاب بموضوع مشروعيّة زيارة أهل القبور مذكّرين أن زيارة الأموات وزيارة القبور من الأمور الشائعة بين شعوب العالم، حتى أولئك الذين يحرقون موتاهم فإنهم يجمعون رماد تلك الأجساد ويضعونه في علبة خاصة ثم يزورونهم بين مدّة وأخرىٰ، وأحياناً يشعلون الشموع في تلك الأماكن لإدخال السرور على أرواح أمواتهم.

أما المسلمون فإنهم يقتدون بخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وبأوصيائه الطاهرين في مسألة زيارة أهل القبور، وبعث الخيرات إليهم.

إننا في هذا الفصل نريد إثبات مشروعيّة زيارة أهل القبور عن طريق

سيرة الأئمة عليهم السلام وأمرهم بـذلك، وسنكتفي لكـل من الأمرين ببعض الأحاديث:

ألف ـ مشروعية زيـارة أهل القبـور كما في سيـرة النبي والأئمة الأطهـار عليهم السلام:

١ ـ ذكر المرحوم المجلسي عن كتاب كامل الزيارة: «... عن صفوان الجمّـال قال: سمعت أبـا عبدالله(ع) يقـول: كان رسـول الله(ص) يخرج في مـلأ من الناس من أصحـابه كـلّ عشيّة خميس إلى بقيـع المـدينـة، فيقـول: السلام عليكم أهل الـديار، السـلام عليكم أهل الـديار، السـلام عليكم أهل الديار، رحمكم الله، رحمكم الله رحمكم الله...»[1].

٢ ـ وورد أيضـاً في ذلـك الكتـاب عن كتـاب من لا يحضـره الفقيـه: «كانت فاطمة(ع) تأتي قبور الشهداء كل غداة سبت، فتأتي قبر حمـزة فتترحّم عليه وتستغفر له»[2].

إن عبـارة «كـان رسـول الله(ص)» في الحـديث الأول وعبـارة «كـانت فاطمة(ع)» في الحديث الثاني يدلّان على تكرار مسـألة زيـارة القبور، لأنهمـا جاءا بصيغة المـاضي الاستمراري، وفي الحقيقـة كان شـأنهما ودأبهمـا زيارة أهل القبور طالبين لهم الرحمة والمغفرة.

٣ ـ وذكر أيضاً المرحوم المجلسي في بحار الأنوار:

«وقيل لأمير المؤمنين(ع): ما شأنك جاورت المقبرة؟.

فقـال(ع): إنّي أجـدهم جيـران صـدقٍ يكفّـون السيّئـة، ويُـذكّـرون الآخرة»[3].

---

(١) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٢٩٦ الحديث ٩.

(٢) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٣٠٠ الحديث ٢٧.

(٣) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٢٩٦ حديث ٧.

وينبغي توضيح ما ورد في هذا الحديث الشريف من أنّهم جيران لأمير المؤمنين فليس المقصود بذلك أن الأمير عليه السلام كان قد ذهب إلى المقبرة واشترىٰ بناية أو استأجر غرفة في تلك المنطقة فيكونون جيران له، بل المراد كثرة تردّده على المقبرة، وهذا شائع في اصطلاحاتنا، فمثلاً يمكن وصف كثير التردد على المسجد أنه مجاور للمسجد، أو معتكف فيه، وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام هذه هي سيرة معصوم حجّةٍ علينا.

٤ ـ وذكر المرحوم المجلسي أيضاً عن كامل الزيارة عن أبي المقدام: «قال: مررت مع أبي جعفر(ع) بالبقيع، فمررنا بقبر رجل من أهل الكوفة من الشيعة، فقلت لأبي جعفر(ع): جعلت فداك، هذا قبر رجل من الشيعة.

قال: فوقف عليه وقال: اللهم ارحم غربته، وصل وحدته، وآنس وحشته...»[١] نستفيد من هذين الحديثين في معرفة سيرة أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الباقر، ففي الحديث الرابع مثلاً صُرّح بأن الإمام الباقر عليه السلام عندما مرّ على مقبرة البقيع ووصل إلى قبر أحد المؤمنين وقف عنده ودعا له بالرحمة والمغفرة.

وعلى هذا فإن إحدىٰ الأدلة على مشروعيّة زيارة أهل القبور لنا نحن المقتدرون بإمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام هو سيرتهم وعملهم، والدليل الآخر ما ورد من أقوالهم وأوامرهم، حيث حرّضوا أصحابهم كثيراً على زيارة القبور والدعاء لأهلها ومع غضّ النظر عن وجوب ذلك أو استحبابه فهو يعطينا مشروعيّته بالأساس.

باء ـ مشروعية زيارة أهل القبور في أحاديث أهل البيت عليهم السلام:

١ ـ روىٰ المرحوم الكليني:

«... عن محمد بن مسلم، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال أمير

---

(١) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٢٩٧ حديث ١٤.

المؤمنين(ع): زوروا موتاكم، فإنهم يفرحون بزيارتكم...»[1].

٢ ـ وذكر المرحوم المجلسي أيضاً:

«... عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبدالله(ع): نزور الموتىٰ؟.

فقال(ع): نعم.

قلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم؟.

قال(ع): أي والله ليعلمون بكم، ويفرحون بكم، ويستأنسون إليكم...»[1] ينبغي التنبيه بما يتعلّق بالحديثين أعلاه بما يلي:

أ ـ لاحظنا في الحديث الأول أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أمر بزيارة الأموات بشكل صريح، وكلمة «زوروا» في هذا الحديث تدلّ على استحباب الزيارة بملاحظة القرائن والشواهد الأخرىٰ، أي: يستحب لنا زيارة الأموات، فهو لم يمنع من زيارتهم فحسب بل أمر بذلك.

ب ـ الملاحظة الثانية في الحديث المتقدّم أن أمير المؤمنين عليه السلام أشار إلى فرح الأموات بزيارة المؤمنين لهم من ذويهم وإخوانهم كما لو زار مؤمن أخاه في حياته فيفرح بزيارته، وستأتي إن شاء الله أحاديث أخرىٰ في هذا المجال.

ج ـ نلاحظ في حديث محمد بن مسلم مع الإمام الصادق عليه السلام أن الإمام أقسم له على أن الأموات يعلمون بمن يزورهم ويفرحون بذلك.

ونلاحظ أيضاً في حديث محمد بن مسلم أن هذا الحوار بينه وبين الإمام الصادق عليه السلام كان في محيط المدينة المنوّرة، وأهل المدينة ـ كما هو الحال بين أهل السنّة في هذا اليوم ـ كانوا لا يعتقدون بصحة زيارة

(١) الكافي ج٣ ص ٢٢٩ الحديث ١٠.

(١) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٣٠٠ الحديث ٢٦.

أهل القبور وأنها عملية خرافية، وكانت الدعاية تروّج ذلك، أما محمد بن مسلم فإنه أراد أن يحسم الأمر لديه بسؤاله الإمام الصادق عليه السلام عن هذا الأمر فاقسم له الإمام بصحة هذا العمل.

د ـ كانت عبارة «يفرحون بكم ويستأنسون إليكم» على خلاف ما كان شائعاً في المدينة المنورة في ذلك الوقت، فهي تؤكّد أن الأموات أحياء ويدركون ما يحدث من فعل وانفعال في هذا العالم.

الفائدة من زيارة أهل القبور

إن الأحاديث الواردة بهذا الشأن تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ الأحاديث التي تذكر ثواب الزيارة العائد إلى أصحاب القبور.

ب ـ الأحاديث التي تذكر ثواب الزيارة للزائر.

ج ـ الأحاديث التي تذكر ثواب الزيارة للطرفين.

وسنشير إلى مجموعة من الأحاديث لكل من هذه الأقسام الثلاثة:

أ ـ القسم الأول:

١ ـ ذكر المرحوم المجلسي عن كتاب «دعوات الراوندي» نقلاً عن داود الرقي:

«قال: قلت لأبي عبدالله(ع): يقوم الرجل على قبر أبيه وقريبه وغير قريبه، هل ينفعه ذلك؟.

قال(ع): نعم، إن ذلك يدخل عليه كما تدخل على أحدكم الهدية يفرح بها»[1].

---

(١) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٢٩٦ حديث ٦.

٢ ـ وفي وسائل الشيعة عن الإمام الباقر عليه السلام:

«قال: سألته عن زيارة القبور، قال(ع): إذا كان يوم الجمعة فزرهم، فإنه من كان منهم في ضيقٍ وسّع عليه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يعلمون بمن أتاهم في كل يوم»[١].

نلاحظ في هذين الحديثين عدّة أمور:

ألف ـ نجد في الحديث الأول أن الإمام عليه السلام شبّه زيارة أهل القبور والدعاء لهم والاستغفار لهم عند مزارهم بزيارة الأصدقاء وأخذ الهدية لهم، وهذا التشبيه يلفت الأنظار إلى نكتتين جميلتين: الأولى فرح الأرواح بالزيارة، والثانية الاستفادة من الدعاء والاستغفار لهم.

باء ـ وفي الحديث الثاني أشار الإمام عليه السلام إلى الفائدة الخاصة في زيارة الأموات في وقت محدّد، حيث تتسع عليهم قبورهم ويتسع عليهم ضيقهم في ذلك العالم.

وعلى أي حال، إن ما ذكر في هذين الحديثين من فوائد للزيارة إنما هي تعود إلى ساكني القبور، خلافاً للروايات التي سنذكرها.

ب ـ القسم الثاني:

١ ـ ذكر المرحوم المجلسي عن المرحوم الشيخ المفيد:

«قال: قال رسول الله(ص) من قرأ آية من كتاب الله في مقبرة من مقابر المسلمين أعطاه الله ثواب سبعين نبياً، ومن ترحّم على أهل المقابر نجىٰ من النار ودخل الجنّة وهو يضحك»[٢].

٢ ـ وأيضاً عن الحسين بن علي عليه السلام:

---

(١) الوسائل ج٣ ص ٩٣.

(٢) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٣٠٠ الحديث ٢٩.

«قال: من دخل المقابر فقال: «اللهم ربّ هذه الأرواح الفانية، والأجساد البالية، والعظام النخرة، التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة، ادخل عليهم روحاً منك وسلاماً منّي» كتب الله له بعدد الخلق من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات»[1].

٣ ـ وذكر أيضاً المرحوم المجلسي عن كتاب كامل الزيارة عن الرضا عليه السلام: «قال: من أتىٰ قبر أخيه المؤمن ثم وضع يده على القبر وقرأ: إنّا أنزلناه في ليلة القدر» سبع مرات أمن يوم الفزع الأكبر. .[2].

إن هذه الأحاديث الثلاثة أشارت إلى حقيقة واحدة وهي أن الثواب وفائدة زيارة أهل القبور تعود بالأساس إلى الزائرين.

ج ـ القسم الثالث:

١ ـ روى المرحوم الشيخ الكليني في الكافي عن محمد بن مسلم:

«. . . عن أبي عبدالله(ع) قال: قال أمير المؤمنين(ع): زوروا موتاكم فإنهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه وعند قبر أمه بما يدعو لهما»[3].

٢ ـ وذكر المرحوم المجلسي في بحار الأنوار عن عدة الداعي، والمرحوم الشيخ الحرّ العاملي في كتاب وسائل الشيعة:

«قال الصادق(ع): من عمل من المسلمين عن ميّت عملاً صالحاً أضعف الله له أجره ونفع به الميت»[4].

٣ ـ وأيضاً في كتاب وسائل الشيعة:

---

(١) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٣٠٠ الحديث ٣١.
(٢) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٢٩٥ الحديث ٣.
(٣) الكافي ج٣ ص ٢٢٩ الحديث ١٠.
(٤) بحار الأنوار ج٨٢ ص ٦٢ الحديث ٢، وسائل الشيعة ج٢ ص ٦٥٥ الحديث ٤.

«قال أبو عبدالله(ع): يدخل على الميّت في قبره الصلاة والصوم، والحج والصدقة، والبر، والدعاء ومكتب أجره للذي يفعله وللميت»[1].

نلاحظ في هذه الأحاديث الثلاثة أن فائدة زيارة أهل القبور تعود فيها إلى الطرفين، تسأل الله عز وجل أن لا يغفل المؤمنون عن باب الخير هذا.

(١) وسائل الشيعة ج٢ ص٦٥٥ الحديث ٣.

الفصل الثالث

الباقيات الصالحات

إن موضوع الباقيات الصالحات خارج عن موضوع هذا الكتاب، إلا أن نتائج الباقيات الصالحات تصبّ في عالم البرزخ أيضاً، وهذا الكتاب متصدّي للمسائل المرتبطة بعالم البرزخ، ولذا سيكون حديثنا في هذا الفصل عن هذه المسألة.

إن مصطلح «الباقيات الصالحات» تكرر كثيراً في القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام، والمقصود بالباقيات الصالحات هو الأعمال المحبوبة لله عز وجل والتي فيها منفعة عامة للناس مستمرة، تبقىٰ حتى بعد وفاة الإنسان سبب خيرٍ له وهو في عالم البرزخ، وقبل أن نبدأ بذكر الأخبار والأحاديث الواردة في هذا الموضوع نذكر بعض التعريفات اللغوية لهذا المصطلح.

«الباقيات» جمع «باقية» وهي مؤنّث «باق» وكلمة «باق» في الأصل «باقي» ولصعوبة اللفظ تحول اللفظ بها إلى «باق».

إن معنىٰ «الباقيات» هو عكس «الفانيات» وقد ورد في القرآن الكريم: «ما عندكم ينفدُ وما عند الله باق».

إن ما ينفد من الأشياء هو الأموال الدنيوية والرئاسة، أما ما عند الله عز

وجل من أعمال الخير والصلاح أو أعمال الشر فإن ذلك ثابت وباق عند الله عز وجل ومسجّل على الإنسان.

أما «الصالحات» فهي جمع «صالحة» ومؤنث «صالح» ويقابلها «الطالحات» وإنما جاءت صيغة «الباقيات الصالحات» بالتأنيث لأنها صفة لكلمة «الأعمال» فهي «الأعمال الباقيات الصالحات» ويقابلها الأعمال غير الصالحة.

وبشكل عام الأعمال سواء كانت صالحة أو طالحة إذا قيست إلى وجود الإنسان أو ما يملك في هذه الدنيا من أموال وأمور اعتبارية فهي ثابتة وتلك زائلة، فإذا بنى الإنسان مثلاً مستشفى يعالج فيه المرضى فإنه سيبقى في مقابل وجوده المادي ومقابل أمواله ومقامه في المجتمع عمل خيرٍ وعملاً صالحاً وعكس ذلك بناء مراكز الفحشاء والمنكر التي يُعصى الله عز وجل فيها فإن هذا العمل أيضاً باق إلا أنه عمل فاسد.

إن الأعمال الصالحة التي يكون لها الأثر في خدمة الناس فإن صاحبها يكون شريكاً لكل من يساهم فيها، فعلى سبيل المثال لو بنى إنسان مسجداً أو حسينية أو مستشفى أو شقَّ ترعة للماء أو بنى جسراً أو فتح طريقاً للمارة وما شابه ذلك من أعمال الخير ـ أو بالعكس لو كان سبباً في بناء محل للقمار أو الفاحشة أو أي عمل قبيح آخر ـ فإن صاحب هذا البناء سوف يحصل على الثواب ـ أو العقاب ـ ما دام هذا البناء باقياً، وما دام هناك من يعمل فيه خيراً أو شراً، وهو شريكهم في الثواب والعقاب وإن كان ميّتاً.

إن ما يهمّنا من الموضوع هو نتائج الباقيات الصالحات في عالم البرزخ، وسنذكر لكم عدة أحاديث عن الأئمة المعصومين عليهم السلام في ذلك:

١ ـ روى المرحوم الصدوق عن الصادق عليه السلام: «قال عليه السلام: ستة يلحقن المؤمن بعد وفاته: ولا يستغفر له، مصحف يخلفه،

غرس يغرسه، صدقة ماء يجريه، وقليب يحفره، وسنّة يؤخذ بها من بعده»[1].

٢ ـ وذكر المرحوم الشيخ العاملي في كتاب وسائل الشيعة عن ابن عمار: «. . . قال: قلت لأبي عبدالله(ع): ما يلحق الرجل بعد موته؟.

فقال: سنّة سنّها يعمل بها بعد موته، فيكون له مثل أجر من يعمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، والصدقة الجارية تجري من بعده، والولد الطيب يدعو لوالديه بعد موتهما. . .»[2].

٣ ـ وذكر المرحوم المجلسي عن أمالي الشيخ الطوسي عن المرحوم الشيخ المفيد: «. . . قال: قال أبو عبدالله(ع): خير ما يخلفه الرجل بعده ثلاثة: ولد بار يستغفر له، وسنّة خير يقتدىٰ به فيها، وصدقة تجري من بعده»[3].

٤ ـ وذكر أيضاً المرحوم المجلسي في بحاره عن أمالي الشيخ الصدوق: «عن ابراهيم بن محمد، عن الصادق(ع)، عن آبائه عليهم السلام، قال رسول الله(ص): مرّ عيسىٰ بن مريم(ع) بقبر يعذّب صاحبه، ثم مرّ به من قابل فإذا هو ليس يعذّب، فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام الأول فكان صاحبه يعذّب، ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذّب؟!.

فأوحىٰ الله عز وجل إليه: يا روح الله، إنه أورث له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوىٰ يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه»[4].

لقد ورد ذكر بعض الأعمال الصالحة في هذه الأحاديث الشريفة من قبيل الولد الصالح، أو الكتاب الذي يسعىٰ في رفع الحاجات المادية أو

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج١ ص١١٧ الحديث ٥٤.
(٢) وسائل الشيعة ج٢ ص ٦٥٦ الحديث ٦ وبحار الأنوار ج٨٢ ص ٦٣ الحديث ٤.
(٣) بحار الأنوار ج٦ ص٢٩٤ الحديث ٣.
(٤) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٢٠ الحديث ١٥.

المعنوية للناس، أو زراعة شجرة وحفر بئر وشقّ ترعة وفتح طريق للناس وإيواء اليتيم وسنّ السنّة الحسنة التي يقتدي بها الناس، وهي كلها باقيات صالحات.

وهناك أمور أخرى ترد في أحاديث كثيرة من قبيل الذكر والتسبيح وتسمى الباقيات الصالحات أيضاً وكنموذج على ذلك نذكر هذين الحديثين:

١ ـ ذكر المرحوم الشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة: «. . . عن ضريس الكناسي، عن أبي جعفر(ع) في حديث أن رسول الله(ص) قال لرجل: إذا أصبحت وأمسيت فقل: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» فإن لك (إن قلته) بكل تسبيحة عشر شجرات في الجنّة من أنواع الفاكهة، وهن الباقيات الصالحات»[1].

٢ ـ وورد أيضاً في كتاب الوسائل عن عبدالله بن حمّاد: «. . . عن أبي بصير، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): أكثر من قول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» فإنهنّ يأتين يوم القيامة لهنّ مقدّمات ومؤخّرات ومعقّبات، وهنّ الباقيات الصالحات»[2].

فلاحظ في هذين الحديثين أن التسبيح اعتبر فيهما من الباقيات الصالحات، ومن هنا نعرف أن عنوان الباقيات الصالحات يشمل أموراً كثيرة ويمكن إطلاقه على كل ما يسبّب السعادة الأخروية ودخول الجنّة، فهو عمل باق وصالح، وفي الحقيقة كل عمل يصدر من الإنسان بإرادته واختياره ويكون محل رضا الله عز وجل فهو من الباقيات الصالحات.

فمن الممكن أن يبني إنسان مسجداً أو مستشفىً، أو يشقّ طريقاً، أو قناة للماء، إلا أن نيّته لا تكون لله عز وجل هذه الأعمال لا تحسب «باقيات صالحات».

---

(١) وسائل الشيعة ج٤ ص ١٢٠٥ الحديث ٢.
(٢) وسائل الشيعة ج٤ ص ١٢٠٦ الحديث ٣.

فمثلاً لو أريد أخذ قطعة أرض من مالك لبناء مجموعة من المساكن فيها وإعطائها للفقراء وأراد صاحبها أن لا يخسر تلك الأرض فيعلن أنها موقوفة لبناء مسجد ثم يبني فيها مسجداً كي لا تُلحظ نيّته الكاذبة فإن هذا العمل وإن كان في الظاهر هو عمل خير إلا أنه لم يكن بقصد كسب رضا الله عز وجل.

أو أنه يبني مسجداً ليُعرف بذلك عند الناس، أو يبني مستشفىً أو يشقّ قناة دون أن يريد رضا الله عز وجل وخدمة الناس، فهذه أيضاً لا تكون من «الباقيات الصالحات».

إن هذا الموضوع واضح فنكتفي بما أوردنا منه آملين أن يكون فيه تذكرة للعاملين.

ولقد استفدنا بتوضيح معنى الباقيات الصالحات والأحاديث التي أوردنا هنا في ذلك أن جميع الصدقات الجارية تنفع صاحبها بعد الموت ويجد نتائجها وأثرها في عالم البرزخ مع أن نتائجها الأساسية تكون في عالم القيامة.

الفصل الرابع

فائدة الخيرات للأموات في عالم البرزخ

إن كلمة الخيرات لغة لها مفهوم واسع، ويمكن إطلاقها على كل الأعمال الصالحة التي ترضي الله عز وجل والأئمة المعصومين عليهم السلام، كالصلاة، والعبادات الأخرىٰ، والمساعدة التي تقدمها إلى الضرير، والصدقات، والأعمال التي لها منافع اجتماعية كبناء الجسور، وفتح الطرق، وبناء المدارس والمساجد، وشق الترع، وبناء المستشفيات، وأعمال الخير الأخرىٰ، كل ذلك يمكن أن نطلق عليه لفظة «الخيرات».

والخيرات والصدقات لأجل الأموات لا يشترط أن تكون ماليّة، أو أن تكون طعاماً، بل كل عمل خيرٍ يمكن أن يقوم بها الإنسان يستطيع أن يهدي ثوابه للأموات، وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله: كل معروف صدقة.

وعلى هذا فكل عمل صالح يُقصد به رضا الله عز وجل هو صدقة وخيرات.

لقد علمنا في روايات الفصل السابق أن أرواح الأموات في عالم البرزخ تستفيد من الأعمال الصالحة التي تُهدىٰ إليها من قبل الأحياء، فلو بنى إنسان بناءً نافعاً للناس أو ألّف كتاباً، أو ترك ولداً صالحاً، فما دامت هذه الآثار باقية كبقاء المسجد لصلاة الناس، أو القناه لسقي الناس، أو الشجرة

لتظليل الناس، أو مستشفى لعلاج النـاس، فإن ثـواب ذلك يصـل إلى بانيهـا وهو في عالم البرزخ.

وعلى العكس لـو بنىٰ إنسان بنـاء للشر كمحـلّات القمار والشـراب، أو الفحشـاء، فما دامت بـاقية ويعصىٰ الله فيهـا فصاحبهـا معذّب وهـو في عالم البرزخ.

وما نريد أن نعلمه الآن (بغض النظر عن الباقيات الصالحات) أن أرواح المؤمنين هل تستفيد مما يعمل لها من خيرات وصـدقات في عـالم البرزخ أو تكون الاستفادة خاصة بعالم القيامة.

هناك عدّة أحاديث بهذا الشأن:

١ ـ ذكـر المرحـوم الشيخ الحـرّ العاملي في كتـاب وسائـل الشيعـة عن الإمام الصادق عليه السلام:

«. . . قال: قلت لأبي عبدالله(ع): يصلّىٰ عن الميت؟.

فقـال(ع): نعم، حتى إنـه ليكـون في ضيق فيـوسّـع الله عليـه ذلـك الضيق. . .»[1].

وكما قلنا أن الخيـرات والصدقـات التي تُهدىٰ لـلأموات لا يشتـرط أن تكـون ماليـة وغذائيـة بل تشمـل العبادات أيضـاً، كما ورد في هـذا الحديث الشريف.

٢ ـ وذكر أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام.

«. . . قال(ع): إن الميت ليفرح بالترحّم عليه والاستغفار له كما يفـرح الحي بالهدية تُهدىٰ إليه»[2].

---

(١) وسائل الشيعة ج٢ ص ٦٥٥ الحديث ١.

(٢) وسائل الشيعة ج٢ ص ٦٥٥ الحديث ٢.

إن هـذا الحـديث يبيّن لنـا أن بعض العبـارات الشـائعـة بين النـاس كقولهم: «رحمه الله» أو «رحمة الله عليه» لها أثر مفيد للأموات.

٣ ـ وذكـر المـرحـوم المحـدّث القمي في سفينـة البحـار عن رسـول الله(ص): «عن النبي(ص) قال: من دخل المقابر وقرأ سورة «يس» خفّف الله عنهم يومئذ...»[1].

٤ ـ وذكـر المـرحـوم المجلسي عن تفسيـر الـدرّ المنثـور عن رسـول الله(ص): «عن أبي الـدرداء، عن النبي(ص) قـال: مـا من ميت يُقـرأ عنـده سورة «يس» إلا هوّن الله عليه»[2].

٥ ـ وذكر أيضاً المرحوم المجلسي في بحار الأنوار عن ابن أبي عميـر: «عن هشام بن سالم، قال: قلت له(ع) (الصـادق أو الكاظم(ع)): يصـل إلى الميت الدعاء والصدقة والصلاة ونحو هذا؟.

قال(ع): نعم...»[3].

وهناك أحاديث كثيرة أخرى وردت عن الأئمة المعصومين عليهم السلام نكتفي بما ذكرنا منها.

إن من مجموع هذه الأحـاديث نعرف أن فـائدة الخيـرات للأمـوات هو التـوسعة في عـالم البـرزخ، ومن ثمّ في عـالم القيـامـة أيضـاً، وعلينـا أن لا نستهين بالأعمال والخيـرات التي تبدو لأول وهلة أنهـا صغيرة، فـإن المراد لله عز وجل هو نوعية العمل وليس حجمـه، والنيّة التي تقف وراءه، فلعلّنـا نقول جملة صغيـرة: «اللهم اغفر لـه» عن إخلاص وتـوجّه فتؤدّي إلى نجـاة الميّت (طبعاً أن لا يكون عليـه حق من حقوق النـاس) ويمكن أن ندعـو ونناجي الله

---

(١) سفينة البحار ج٢ ص ٥٥٥.
(٢) بحار الأنوار ج٩٢ ص ٢٩٢ الحديث ٦.
(٣) بحار الأنوار ج٨٨ ص ٣١٠.

بأدعية ومناجاة كثيرة إلا أنها تكون عن رياءٍ أو نوايا أخرى غير مقبوله فلا يكون لها الأثر المطلوب عند الأموات.

وعلى هذا علينا أن نتنبه إلى توفيـر نية الإخـلاص والتقرّب إلى الله عـز وجل في أعمالنا، لأن ذلك شرط أساس في قبول الأعمال عند الله عز وجل.

الفصل الخامس

هل الإنسان شريك
في ثواب الأعمال التي يهديها للأموات؟

هناك روايات متفاوتة ومختلفة في هذا الموضوع، ولذا سنقسمها إلى قسمين:

أ ـ الأحاديث التي تحصر فائدة الخيرات والصدقات للأموات ولا تصرّح بفائدتها لعامليها، ومن نماذج هذه الأحاديث ما ورد في الفصل الرابع من هذا القسم من الكتاب ولا نكرر ما أوردناه.

ب ـ الأحاديث التي تذكر اشتراك النفع في الخيرات والصدقات بين الأموات وبين العاملين لها وهي:

١ ـ ذكر المرحوم الشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة عن الإمام الصادق عليه السلام:

«. . . قال: وقال(الصادق)(ع): يدخل على الميت في قبره الصلاة والصوم والحج والصدقة والبر والدعاء، ويكتب أجره للذي يفعله وللميت»[١].

٢ ـ وروى المرحوم الصدوق في كتابه (من لا يحضره الفقيه) عن الإمام

(١) وسائل الشيعة ج٢ ص ٦٥٥ الحديث ٣.

الرضا عليه السلام:

«. . . قال الرضا(ع): ما من عبد زار قبر مؤمن فقرأ عليه «إنا أنزلناه في ليلة القدر» سبع مرّات إلا غفر الله له ولصاحب القبر»[1].

٣ ـ وذكر المرحوم الشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة عن عدّة الداعي: «. . . قال: قال(الصادق) (ع): ما يمنع أحدكم أن يبرّ والديه حيّين وميّتين، يصلّي عنهما، ويتصدّق عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك فيزيده الله ببرّه خيراً كثيراً»[2].

وعند ملاحظة هذه الأحاديث الثلاثة ينبغي التوقف لدىٰ النقاط التالية:

أولاً: لقد ذكر الحديث الأول أن ثواب العمل يعود إلى الميت وإلى الزائر من دون أن يحدّد حجم هذا الثواب، وذكر تساويهما فيه.

ثانياً: وردت في هذا الحديث أيضاً عبارة «يدخل على الميّت في قبره» والقبر هو المكان المخصوص للميّت في عالم البرزخ، كما ذكرنا ذلك في الفصل الرابع من القسم الأول من هذا الكتاب.

ثالثاً: جاءت في الحديث الثاني عبارة «إلّا غفر الله له» كثواب لعمل الخيرات قبل ذكر استفادة صاحب القبر، وهذا ترغيب للعاملين ولزوار القبور، وتشجيع لهم على هذا العمل الجليل.

رابعاً: جاءت في الحديث الثالث عبارة «فيزيده الله ببرّه خيراً كثيراً» تشجيعاً للمؤمنين في موضوع الخيرات والصدقات للأموات، ووعد الأئمة عليهم السلام حقّ لا مرية فيه.

٤ ـ وذكر المرحوم المجلسي عن دعوات الراوندي:

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج١ ص ١١٥ الحديث ٤٠.

(٢) وسائل الشيعة ج٢ ص٦٥٦ الحديث ٥.

«. . . عن الصادق(ع): يكون الرجل عاقّاً لوالديه في حياتهما، فيصوم عنهما بعد موتهما ويصلّي ويقضي عنهما الدين فلا يزال كذلك حتى يُكتب باراً، وآخر يكون باراً في حياتهما، فإذا ماتا لا يقضي عنهما دينهما، ولا يبرّهما بوجه من وجوه البرّ، فلا يزال كذلك حتى يُكتب عاقّاً»[1].

يستفاد من الحديث أعلاه:

أولاً: إن إعطاء الخيرات للأموات وعلى الأخص للوالدين عمل محبوب لله عز وجل، حتى أنه يوجب أن ينجو العاق لوالديه من لعنة الله وغضبه.

وبعبارة أوضح أن تحسن عاقبة هذا الإنسان فيتحوّل من جهنم إلى الجنّة، وعلى العكس التاركين لذلك تسوء عاقبتهم.

ثانياً: إن إعطاء الخيرات للأموات يعود نفعه للمُعطي أيضاً، وما أفضل من هذه التجارة أن يقرأ الإنسان سورة قرآن أو يصلّي عدّة ركعات، أو يصوم عدّة أيامٍ، أو يُطعم وجبة طعام للمحتاجين والمساكين وما شابه ذلك من الأعمال الصالحة فيكون ذلك تقرّباً إلى الله عز وجل.

ج ـ الأحاديث التي جعلت الأجر والثواب للعاملين أكثر مما يصل الأموات من أجر وثواب على عملهم المُهدىٰ إليهم كما يلي:

١ ـ ذكر المرحوم المجلسي في البحار والمرحوم الشيخ الصدوق في «من لا يحضره الفقيه» والمرحوم الشيخ الحر العاملي في كتاب الوسائل:

«. . . قال: قال (الصادق) (ع): من عمل من المسلمين عن ميّت عملاً صالحاً أضعف الله له أجره ونفع الله به الميت»[2].

٢ ـ وذكر أيضاً المرحوم المجلسي في البحار عن ابن بابويه القمّي:

---

(١) بحار الأنوار ج٨٨ ص ٣٠٤ حديث ٣.

(٢) بحار الأنوار ج٨٢ ص ٦٢ و٣٠٨، من لا يحضر ج١ ص ١١٧، وسائل ج٢ ص ٦٥٥.

«. . . قال أبو عبدالله(ع): من عمل من المؤمنين عن ميّت عملاً صالحاً أضعف الله أجره، وينعم بذلك الميت»[1].

وتلاحظون معي أن الحديثين أعلاه ذكرا أن زيارة قبور الأموات وإعطاء الخيرات بإسمهم يؤدّي إلى تكامل الإنسان المعطي، ويكون نصيبه من الأجر والثواب أكثر مما يصل إلى الميت.

د ـ والمجموعة الرابعة من الأحاديث تعطي أعلى درجات الثواب إلى العاملين للخيرات، وسنكتفي بذكر حديثين في ذلك:

١ ـ ذكر المرحوم المجلسي في البحار عن الشيخ المفيد:

«. . . وعنه(ص) قال: إذا قرأ المؤمن «آية الكرسي» وجعل ثواب قراءته لأهل القبور أدخله الله تعالى قبر كل ميّت، ويرفع الله للقارىء درجة ستين نبيّاً، وخلق الله من كل حرف ملكاً يُسبّح الله إلى يوم القيامة»[2].

٢ ـ وذكر المرحوم المحدث القمي في سفينة البحار والمرحوم الشيخ الحر العاملي في كتاب الوسائل:

«. . . قال: وقال (أبو عبدالله) (ع): إذا تصدّق الرجل بنية الميت أمر الله تعالى جبرائيل أن يحمل إلى قبره سبعين ألف ملك، في يد كل ملك طبق فيحملون إلى قبره. . . وأعطاه الله ألف مدينة في الجنّة، وزوّجه ألف حوراء، وألبسه ألف حلّه، وقضي له ألف حاجة»[3].

نلاحظ في هذين الحديثين ما يلي:

أولاً: إن هذين الحديثين يعطيان للمتصدّق مقاماً ودرجة عالية.

ثانياً: جاء في الحديث الثاني: «وأعطاه الله ألف مدينة في الجنّة،

---

(١) بحار الأنوار ج٨٨ ص ٣١٤.

(٢) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٣٠٠ الحديث ٣٠.

(٣) سفينة البحار ج٢ ص ٥٥٥، وسائل الشيعة ج٢ ص ٦٥٦ الحديث ٩.

وزوّجه ألف حوراء، وألبسه ألف حلّة» فلعلّ هناك من يسأل: لماذا كل هذه النعم؟ وماذا سيستفيد الإنسان من ألف مدينة أو ألف حوراء؟.

والجواب على ذلك أن النعم الإلهية في الدنيا مع أنها غير دائمة إلا أن الإنسان لا يصل فيها إلى حدّ الاشباع وإلّا فما الذي يدفع المستكبرين والظالمين إلى بذل مساعيهم في توسعة سيطرتهم على الآخرين سوىٰ بعض المنافع الدنيوية؟!.

ولماذا أمثال هتلر وجنكيز خان ونادرشاه والعشرات بل المئات من الظالمين قد خاضوا حروباً واسعة وقتلوا الملايين من أجل الاحتواء على أراضٍ أوسع؟.

ونجد أن الظالمين في مختلف دول العالم يصنعون القصور والملاهي وأسباب المتعة الدنيوية لأنفسهم فيخوضون لأجل ذلك بحوراً من الدماء دون أي اعتناء!

ومن جهة أخرىٰ حتى لو افترضنا حياة أبسط من ذلك لإنسان يعيش في مدينة جميلة وتؤمّن له كل لوازم الحياة من سكن ومعاش وتنقّل وما شابه ذلك فهل سيتوقف عند هذا الحدّ ولا يتمنىٰ الأكثر؟!.

وإن قيل له أن المدة في بقائه في هذا المكان هي سنة واحدة ألا يطلب تمديد هذه الفترة؟.

فلهذا من الطبيعي أن لا يكفي طموح الإنسان ألف مدينة، وفي كل مدينة الحور العين والنعم واللّذات التي لا توصف، ومع ذلك لا يجدها كثيرة في ذلك العالم طالباً المزيد من اللطف الإلهي والرحمة الإلهية.

ثالثاً: يستفاد من مجموع الأحاديث المذكورة في هذا الفصل أن لا يعتقد الإنسان أن الخيرات والصدقات غير مفيدة للأموات فيتكاسل للقيام بها أو يتركها.

صلاة الوحشة

هـ ـ والقسم الثالث من الأحاديث هي الأحاديث التي وردت بشأن صلاة الوحشة، وهذه الأحاديث مع أنها تدلّ على كثرة ثواب العاملين للخيرات إلا أنها تمتاز بعمل مهم وهو صلاة الوحشة، ولذا سنذكرها منفصلة ونشير لها بذكر حديثين:

١ ـ فقد ذكر المرحوم المجلسي عن فلاح السائل عن حذيفة بن اليمان: «. . . قال: قال رسول الله(ص): لا يأتي على الميت ساعة أشدّ من أول ليلة [دفن فيها]، فارحموا موتاكم بالصدقة، فإن لم تجدوا فليصلّ أحدكم ركعتين. . . فيبعث الله من ساعته ألف ملك إلى قبره مع كل ملك ثوب وحُلّة، ويوسّع في قبره من الضيق إلى يوم ينفخ في الصور، ويُعطىٰ المصلّي بعدد ما طلعت عليه الشمس حسنات، وترفع له أربعون درجة»[1].

٢ ـ وفي البحار أيضاً عن فلاح السائل: «روي عن أمير المؤمنين(ع) قال: قال رسول الله(ص): إذا دفنتم ميّتكم وفرغتم من دفنه فليقم وارثه أو قرابته أو صديقه من جانب القبر ويصلّي ركعتين. . . فإن الله يرفع عنه عذاب القبر وضيقه، ولو سأل ربّه أن يغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، حيّهم وميّتهم، استجاب الله دعاءه فيهم، ويقول الله تعالى لصاحبه: يا فلان بن فلان، كن قرير العين، قد غفر الله عز وجل لك، ويعطىٰ المصلي بكل حرف ألف حسنة، ويُمحىٰ عنه ألف سيئة، فإذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى صفّاً من الملائكة يشيّعونه إلى باب الجنّة، فإذا دخل الجنّة استقبله سبعون ألف ألف ملك، مع كل مالك طبق من نور مغطّىٰ بمنديل من استبرق، وفي يد كلّ ملك كوز من نور فيه ماء السلسبيل، فيأكل من الطبق ويشرب من الماء ورضوان الله أكبر»[2].

---

(١) بحار الأنوار ج٩١ ص ٢١٩ حديث ٤.

(٢) بحار الأنوار ج٩١ ص ٢١٨ حديث ٣.

وبملاحظة هذين الحديثين نقف عند هذه النقاط:

١ ـ إن الأعداد التي ترد في هكـذا أحاديث لا يُـراد منها العـدد الرقمي المعين، بل هي إشارة إلى الزيادة والكثرة، فمثلاً عندما يـرد عدد «ألف ملك» لا يقصد به الملائكة الذين هم بهذا العدد بالضبط وإنما يراد الكثرة والمبالغـة في عدد الملائكة الذين سيحضرون، ومثله عبارة «ألف حسنة» أو «ألف سيئة» فهما إشارة إلى الثواب أو العقاب الكثير.

وكذلك ما ورد من أن المؤمن أو العامل للخيرات عنـدما يـدخل الجنّـة يستقبله سبعون مليون ملك، فإن المراد أنه سيستقبل من قبل ملائكة بعدد غير محدّد، ولعلّه أكثر من هذا العدد.

وما ورد في بعض الأحاديث من أن تفكيـر ساعـة خير من عبـادة سبعين سنة المراد منه أن التفكير في آثار الخلقة ومعرفة الله عز وجل من خلال العالم يعطي عبادة الإنسـان قيمة أكبـر وليس المراد المقـارنة مـع السنة الشمسيـة أو القمرية.

٢ ـ ذكـر لي أحد الأصـدقاء من مـدينة نـائين بما يتعلّق بفـائـدة صـلاة الوحشة في عالم البرزخ، فقال: كنت إذا سمعت بأحـدٍ قد مـات فإني أصلّي له صلاة الوحشة في تلك الليلة وفي أحد الأيام سمعت بوفاة أحـد الأشخاص الفقـراء في مدينتنـا فقلت مع نفسي: إني أصلّي صـلاة الـوحشـة للكثيـر من الناس، وهذا الرجل ليس له أحد في هذه الدنيا وقد عـاش ومات فقيراً فعلي أن أصلّي لـه هذه الصـلاة وبعد عـدّة أيام رأيتـه في المنام فسـألته: كيف هـو حالك في عالم البرزخ؟.

قـال: لقـد كـان حـالي سيّئـاً إلا أن ركعتي الصـلاة التي صلّيتهـا لي أنقذتني.

ثم قـال لي: إن دعاء الميّت للحي مستجـاب، فإن كـانت لك حـاجـة فاذكرها لي فإني سأدعو لك الله بقضائها.

قلت له: إني أرغب أن أحج بيت الله الحرام.

فدعا لي وتهيّأت لي أسباب السفر في تلك السنّة إلى بيت الله الحرام.

وهناك قصة أخرىٰ ذكرها المرحوم فتح علي سلطان آبادي أستاذ الحاج النوري فقال: كان أحد العلماء المعاصرين لنا رجل ضرير وكان مدرّساً لتفسير القرآن، وله طلبة كثيرون، وكان ملتزماً بصلاة ركعتي الوحشة لكل مسلم يسمع بوفاته، وفي إحدىٰ الليالي رأى أحدهم بالمنام وسأله عن حاله فقال له: إن الركعتين اللتين صليتهما لي قد أورثاني الاطمئنان والراحة.

وبهذا نخلص إلى القول أن الأعمال الصالحة مهما صَغُرت من حيث الحجم والأداء فهي عند الله عز وجل كريمة وغير ضائعة، فإنه لا يضيع أجر المحسنين، وهناك آيات قرآنية كثيرة تشير إلى ذلك ولا يسعنا ذكرها لأنها خارجة عن موضع الكتاب، ومن أراد مراجعتها سنذكر له بعض عناوينها.

سورة يونس ـ الآية: ٦١.

سورة الأنبياء ـ الآية: ٤٧.

سورة القمر ـ الآية: ١٦.

سورة سبأ ـ الآية: ٢٢.

سورة الزلزال ـ الآية: ٧.

إن كل من هذه الآيات يؤكّد على أن أعمال العباد مهما صَغُرت فإنها ستحضر عند الله عز وجل في يوم القيامة، ويتم على ضوئها الحساب، وعلى الراغبين مراجعة تفسير تلك الآيات.

ومن هنا يتضح لنا أن الإنسان عند تقديمه الخيرات للأموات فإنه في الحقيقة سينعم بالفائدة الأكبر في ذلك، والذين يذكرون الأموات دائماً في أعمالهم الصالحة ويهدون لهم ثوابها سيجدون ما عملوا مسجلاً في صحائف أعمالهم، وسيلقون أضعاف ما يستحقّون من ثواب ذلك العمل.

وأولئك الذين يذكرون أهل البيت عليهم السلام دائماً، ولا تفتر ألسنتهم عن الذكر والتسبيح ثم يهدون ثواب هذه الأعمال المستحبة إلى أرواح الأنبياء والأولياء عليهم السلام فإنهم سيعطون قيمة أعلىٰ لأعمالهم هذه، ويحصلون على ثوابٍ مضاعفٍ لها.

الفصل السادس

هل الأموات يعلمون بمن يبعث لهم الخيرات؟

بعد أن علمنا أن أرواح الأموات تستفيد من الخيرات والصدقات التي تهدىٰ إليها في عالم البرزخ من المناسب أن نعلم هل أن الأموات يعرفون مصدر هذه الخيرات، أو أنهم يستفيدون فحسب؟.

هناك عدة أحاديث عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام تشير إلى هذا الموضوع كما يلي:

١ ـ ذكر المرحوم المجلسي في بحار الأنوار عن الشيخ الصدوق في كتابه «من لا يحضره الفقيه»، والمرحوم الشيخ الحر العاملي في «وسائل الشيعة»، والمرحوم المحدث القمي في «سفينة البحار»:

«ورام ابن أبي فراس في كتابه قال: قال(أبو عبدالله(ع)): إذا تصدّق الرجل بنيّة الميت، أمر الله جبرئيل أن يحمل إلى قبره ويقولون: السلام عليك يا ولي الله، هذه هدية فلان بن فلان إليك...»[1].

٢ ـ وذكر أيضاً المرحوم المجلسي في البحار عن المرحوم الشهيد

(١) بحار الأنوار ج٨٢ ص ٦٣ حديث ٧، وسائل الشيعة ج٢ ص ٦٥٦ ح٩، وسفينة البحار ج٢ ص ٥٥٥.

الأول في الذكرىٰ عن المرحوم الصدوق:

«. . . قال لأبي عبدالله(ع): أيصلىٰ عن الميت؟.

فقال(ع): نعم حتى إنه يكون في ضيق فيوسّع الله عليه ذلك الضيق، ثم يؤتىٰ فيقال له: خُفّف عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك عنك. . .»[1].

٣ ـ وكذلك ذكر المرحوم المجلسي في بحار الأنوار عن الشهيد في الذكرىٰ:

«قال هشام بن سالم في كتابه: وعنه (الصادق) (ع) قال: قلت: يصل إلى الميت الدعاء والصدقة والصلاة ونحو هذا؟.

قال: نعم.

قلت: أو يعلم من صنع ذلك به؟.

قال: نعم.

ثم قال: ويكون مسخوطاً عليه فيرضىٰ»[2].

٤ ـ وروىٰ المرحوم الكليني في الكافي عن إسحاق بن عمار:

«. . . عن أبي الحسن(ع) قال: قلت له: المؤمن يعلم بمن يزور قبره؟.

قال: نعم، ولا يزال مستأنساً به ما دام عند قبره، فإذا قام وانصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشته»[3].

وهناك أحاديث أخرىٰ كثيرة بهذا الشأن في كتب الحديث اخترنا منها هذه الأحاديث كنموذج لتوضيح هذا الموضوع، ونجد من المناسب أن نشير إلى النقاط التالية:

---

(١) بحار الأنوار ج٨٨ ص ٣٠٩.

(٢) بحار الأنوار ج٨٨ ص ٣١٠.

(٣) الكافي ج٣ ص ٢٢٨ حديث ٤.

أ ـ جاء في الحديث الأول: «إن سبعين ألف ملك ينقلون الثواب إليه في قبره» وكما قلنا في الفصل الرابع من القسم الأول من هذا الكتاب أن المراد من «الحفرة والقبر» المكان المخصوص للإنسان في عالم البرزخ الذي ينسجم مع أعماله في الدنيا.

ب ـ إن المراد بكلمة الضيق والظلمات الواردتين في الأحاديث الشريفة للأئمة عليهم السلام وصف حالة الأرواح السيئة في عالم البرزخ، النور والسعة لحالتهم المسنة، فهي تشبيهات واستعارات تستعمل في وصف الحالة النفسية للإنسان كما لو قلنا أننا نعيش في ضيق، أو في ظلمات، ولا يُراد بذلك الضيق المادي كأن يضيق عليه قبره مادياً في عالم البرزخ.

ج ـ يتضح من هذه الأحاديث أن أرواح المؤمنين في عالم البرزخ تعلم بمن يهدي إليها الخيرات والصدقات.

د ـ من المناسب أن نذكر هنا رؤيتين صادقتين تؤيّد ما ورد من معاني في هذه الأحاديث الشريفة كمصداق خارجي لها:

١ ـ ذكر آية الله الشيخ محمد صادق الطهراني عن بعض أصدقائه أنه قال: كان في منزل أحد سكان محلّتنا إمرأة تخدم، وكانت مؤمنة في حين كان صاحب البيت من الملحدين.

وكنّا في كلّ سنة نذهب إلى منزل صديقنا هذا في موسم العنب، حيث تعمل لنا تلك المرأة في ورقة غذاء معروفاً في إيران، وبعد مدّة من الزمان توفّيت هذه المرأة، وعندما جاء موسم العنب قلنا له: هل سنحضر أيضاً في هذا الموسم إلى منزلك؟.

فقال: إن تلك المرأة المؤمنة قد توفّيت وأنتم لا تعتبرون يدي طاهرة لأصنع لكم هذا الغذاء.

قلنا له: إن عليك تهيئة المواد الأوليّة له، ونحن سنصنعه بأيدينا قال: لا مانع من ذلك.

وبعـد أن وضعنا مـوعداً لاجتمـاعنا بـه ذهبنا إليـه وبعـد تهيئـة الـطعـام والجلوس إلى المـائدة جـاء أحد الفقـراء وطرق بـاب المنزل طـالبـاً الغـذاء، فاقترحنا على صاحب البيت أن يجيز لنا إعطاء بعض ذلك الطعام إلى السـائل ونهدي ثوابه إلى المؤمنة المرحومة.

فقال: إني لا أعتقد بهذا الأمر فالميّت لا يعرف الخيـرات، ولا يستفيد من الصدقات، ولكن إن أحببتم أن تعطوا هذا السائل فاعطوه لا مانع لدي.

فأعطيناه بعض ذلك الطعام بعنوان خيرات لتلك المرأة الصالحة، وبعد العشاء نمنا في نفس ذلك المنزل.

وفي الصباح وقبل شروق الشمس طرقت باب المنزل، فـذهب صاحبـه لفتحها وبعد عدّة دقائق جاءنا وهو يبكي فسألنـاه عن سبب بكائـه فقال: إن أم تلك المرأة المؤمنة جاءت الآن وقالت أن ابنتها قد جـاءتها في المنـام في هذه الليلة وطلبت منها أن تأتي صباحاً وتخبرنا أن الطعام الذي بعثناه لها قد وصـل إليها، وكان لديها ضيوفاً، وقد تناول الجميع منه، وهي شاكرة لعملنا!.

يقول صاحب القصة: فقلنا لصاحب المنزل: لماذا تبكي؟.

قال: إنكم قد نمتم هـذه الليلة هنا ولم تخـرجوا من المنـزل، وأم هذه المرأة لم تكن تعلم باجتماعنا ليلة أمس وبطعامنا وما أعطيناه للفقير!!

ومن هذا علمت أن روح الإنسان بعد أن تخرج من عـالم الدنيـا تصلها الصـدقات، وتستفيـد من الخيرات، وإني أبكي، لمـا كنت عليـه من ضـلال حتى هذا اليوم.

ثم وبحمد الله عاد إلى إسلامه.

إن الذي نخلص إليه من نقـل هذه القصـة أن الرؤيـا الواردة فيهـا رؤيا صادقة، وذكرها هنا يفيدنا في توضيح ما ذكـرناه من روايـات وأحاديث شـريفة أكثر فأكثر.

٢ ـ ذكر أحد المقاتلين في جبهة الجنوب الإيرانية في حرب العراق ضد إيران وكان من المسؤولين حينها: في إحدىٰ الليالي الشديدة في الحرب وبعد أن هجعت عيون المقاتلين نويت مع نفسي أن أصلّي لكل من أذكره من أمواتي وأرحامي ركعتي صلاة، فقمت من مكاني وتوضّأت ثم صلّيت لكل من تذكرت منهم.

وبعدها نمت بنفس ذلك الوضوء فرأيت في عالم الرؤيا جدي لأمي فناداني ثم قال: لَمَ صلّيت للجميع ونسيتني؟!.

وبعد أن استيقظت من منامي تذكرت أني لم أصلّي له، فقمت وتوضأت وصلّيت ركعتين وهديت ثوابهما إليه.

هناك عدة أسئلة ترتبط بهذه الرؤيا وهي:

١ ـ كيف علمت روح جدّه أنه صلّىٰ للجميع ونسيه؟.

والجواب على ذلك ما ذكرنا من أحاديث في الفصل السادس من هذا القسم حيث دلّت تلك الأحاديث على أن الأموات يعلمون بمن يبعث إليهم الخيرات والصدقات، وتُقدم إليهم بعنوان هدايا من فلان وفلان، ومن هنا شاهدت روح جدّه أن الهدايا وزّعت من حفيده إلى الكثير من أقربائه دون أن يصله منها شيء.

٢ ـ كيف علمت روح جدّه أن الهدايا وصلت إلى الآخرين أيضاً؟.

والجواب أنّا علمنا من أحاديث الفصل الثالث والثامن من القسم الأول لهذا الكتاب أن أرواح المؤمنين تجتمع في وادي السلام، وعلمنا من أحاديث الفصل الثاني من القسم الأول أن أرواح المؤمنين تجتمع ليلاً في رياض من رياض الجنّة، وفي النهار يعودون إلى أماكنهم، فمن الطبيعي أن من يبعث هدية إلى بعضهم يعلم بها الآخرون.

ويجب أن نعلم أيضاً أن مأموري البريد الإلهي ليس لديهم اهمال أو

نسيان في إيصال المراسلات والحوالات والأمانات إلا أصحابها كما يحصل في مأموري البريد الدنيوي، بل إنه وبمجرد انتهاء العمل المحوّل إلى هناك يوصلونه إلى أهله.

٣ ـ كيف استطاعت روح جدّه أن تطلب حقّها من العمل منه؟.

والجواب على ذلك أننا علمنا من أحاديث الفصل التاسع من القسم الأول من الكتاب أن الأرواح تتمتّع بحسب فضيلتها ومقامها بالقدرة على ملاقاة أقربائها في عالم الدنيا، وبإمكانها أحياناً إيصال بعض المعلومات أو الطلبات إليهم، فاستطاعت روح هذا المؤمن أن تتصل بروح الحفيد وتعاتبه على نسيانه أمرها.

٤ ـ كيف علمت روح الجدّ أن حفيدها موجود في المنطقة الفلانية من جبهة الجنوب فاتصلت به؟.

والجواب أولاً: إن أحاديث الفصل العاشر من القسم الأول من الكتاب تُفيد بأن أرواح المؤمنين مطّلعة على أماكن أقربائها في الدنيا لإشرافها على أعمالهم وأفكارهم.

وثانياً: إن روح الإنسان عندما تخرج من بدنه أثناء النوم فهي تستطيع أن ترحل إلى أماكن متعدّدة وواسعة، وتلتقي بالآخرين سوىٰ أننا عندما نرىٰ الرؤيا في مكانٍ نعتقد أن روح ذلك الميت قد جاءت إلى ذلك المكان ليس إلّا!.

الفصل السابع

مرقد الوالدين محل قضاء الحوائج

إن زيارة قبور الوالدين تأتي بعد زيارة قبور الأنبياء والأئمة وأولادهم عليهم السلام ـ والتي لها أثر خاص وقدسية ـ من حيث الأهمية.

فالله عز وجل قد أولىٰ الوالدين أهميّة خاصة سواء في حياتهما أو بعد مماتهما، وأوجب حقّهما على الأولاد، ونريد في هذا الفصل أن ننبّه الجميع على أهمية الوالدين طالبين منهم أداء حقّهما.

لقد بيّنا من خلال الأحاديث التي ذكرناها في هذا الكتاب أهمية الخيرات والصدقات للوالدين، وأن ذلك يؤدي إلى حسن عاقبة الإبن وإهمالها يؤدي إلى سوء عاقبته، وهنا نريد أن نقول أن زيارة قبريهما لها أهميّة كزيارة قبور الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وهما موضع قضاء حاجات الإنسان.

ويمكن القول أن زيارة قبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام لا تختلف عن زيارة قبري الوالدين سوىٰ في تعظيم الشعائر الدينية فإن قراءة سورة من القرآن مثلاً للأموات توجب ارتقاء درجاتهم، وكذلك الصلاة على محمد وآل محمد توجب ارتقاء مقامهم عند الله عز وجل.

ولا ينبغي التساؤل في جدوىٰ الدعاء للأموات لأن الدرجات والمقامات

في عالم الآخرة لا حدّ لها، وكل من دعا لميّت فسيرفع الله درجته في ذلك العالم.

فقد روىٰ المرحوم الشيخ الكليني قدس الله روحه عن محمد بن مسلم وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الخلَّص:

«... عن أبي عبدالله(ع) قال: قال أمير المؤمنين(ع): زوروا موتاكم فإنهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه وعند قبر أمه بما يدعو لها»[1].

نرىٰ في هذا الحديث أن عبارة «بما يدعو لهما» تشير إلى أن الزائر ببركة دعائه لوالديه عند قبرهما تقضىٰ حوائجه عندما يطلبها من الله عز وجل وما ذلك إلا لإدخاله السرور عليهما عند الزيارة والله عز وجل يكافئه على إدخال السرور على والديه بأن يستجيب دعاءه ويقضي حوائجه.

ذكر لي أحد الأصدقاء قائلاً: لقد حدث لي حادث أثناء قيادتي لسيّارتي مما أدىٰ إلى عطلها، وتأثر حياتي بذلك، وكنت أفكر بحلّ أخرج به من مأزقي، فخطر ببالي أن أذهب إلى قبر والدتي وأطلب منها أن تدعو الله لي بذلك.

وعندما عدت من زيارتها التقيت بأحد الأصدقاء القدماء فعرض عليّ أن يعطيني سيارته ويأخذ سيارتي ثم أدفع له الفرق بينهما بالأقساط، فقلت له: إن سيارتي معطّلة وتقف إلى جانب الطريق.

قال: لا مانع من ذلك.

فحصلت المبادلة وبدأت أدفع له الأقساط، وبعد أن تمّت المعاملة بيني وبينه حينها تذكّرت زيارتي لقبر والدتي ودعائي عنده وأن ما حدث لي هو أثر من آثار ذلك العمل.

---

(١) الكافي ج٣ ص ٢٢٩ الحديث ١٠.

إن الأحاديث الشريفـة تؤكد على هـذا الأمر، فمن أدخـل السرور على والديه فسيدخل الله عز وجل السـرور على قلبه، ويقضي حـوائجه، سـواء في حياتهما أو بعد مماتهما.

الفصل الثامن

تأثير وضع القدم على القبر

كانت العادة جارية في المقابر القديمة جداً ـ كما هو الحال في مقبرة وادي السلام في النجف الأشرف، والخرابات في مدينة دمشق ـ أن ترفع القبور عن الأرض بارتفاع متر إلى متر ونصف، ثم لأسباب عديدة أصبح ارتفاع القبر إلى حدود ثلاثين أو أربعين سانتيمتر، أما أخيراً فقد تولّت أمور القبور بلديات المدن، وأصبح القبر لا يرتفع شيئاً من الأرض.

وفي المقابر التي ارتفعت فيها القبور عن الأرض متراً أو متراً ونصف يمكن التنقّل بينها من دون وطئها، أما في القبور الأخرى التي تُسوّىٰ مع الأرض فإن كثيراً ما تطأوها أرجل المارّة من دون انتباه إلى ذلك، والحديث في هذا الفصل يدور حول هذه المسألة، فهل لوطء القبور أثر شرعي؟.

وهل ورد منع له في الأحاديث الشريفة، أو منع للجلوس عليها؟.

أ ـ من الناحية الشرعية قد جعل الله عز وجل للمسلمين والمؤمنين احتراماً خاصاً، وعزّة وحرمة، وهذه الحرمة تكون لهم أحياءً وأمواتاً، ولقبورهم أيضاً، وقد حرّم الفقهاء والعلماء إهانة قبور المؤمنين، ووضع النفايات عندها، وكل ما يوجب هتك حرمتها، سواء للقبر الواحد أو لمجموع المقبرة.

ب ـ إن كان التردد على قبور المؤمنين يحمل معنى الإهانة كما هو الحال في إلقاء النفايات عليها فهو حرام، وهذا هو الملاك في الجواز وعدم الجواز، ويعود إلى قصد الإنسان، فإن لم يقصد الإهانة بجلوسه على القبر أو بعبوره عليه فإن ذلك لا يكون ذنباً به، أما إذا قُصدت الإهانة فيحرم، وإذا اضطر الإنسان فراراً من الزحام أن يطأ القبور من دون قصد الإهانة فلا إشكال في ذلك.

ج ـ روىٰ المرحوم الصدوق في هذا الموضوع في كتابه «من لا يحضره الفقيه» وأيضاً ذكر المرحوم المجلسي في «بحار الأنوار» عن موسى بن جعفر عليه السلام:

«. . . وقال أبو الحسن موسى بن جعفر(ع): إذا دخلت المقابر فطأ القبور، فمن كان مؤمناً استروح إلى ذلك، ومن كان منافقاً وجد ألمه»[1].

إن هذا الحديث لا يعني أن العبور على قبور المؤمنين ووطئها له فائدة وإنما المراد بيان أن هذا الوطء إن كان غير مقصودٍ فهو لا يكون ذنباً وإن كان صاحب القبر مؤمناً استفاد من ذلك وإن كان منافقاً عذّب به.

وهناك ملاحظة أخرى في هذا الحديث وهي أنه قد ذكر صاحب القبر المؤمن والمنافق ولم يتعرّض لقبور الكفّار، وما ذلك إلا لأن دفن أجساد الكفّار والمشركين في قبور المؤمنين حرام.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج١ ص ١١٥ الحديث ٣٨، بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٣٠٠ الحديث ٢٨.

الفصل التاسع

كيفية الدعاء والسلام على الأموات

إن هـذا الموضـوع خارج عن منهـج الكتـاب إلا أن اتبـاع أهـل البيت عليهم السـلام يقتدون بـأئمتهم الطاهـرين في المسائـل الدينيـة والأخـرويّـة، وزيارة أهل القبور من الأعمال العبادية، لذا وجدنا من اللازم أن نـذكر طـريقة الزيارة وطريقة الدعاء ما وردا في أحاديث أهل البيت عليهم السلام:

١ ـ فقد ذكر المرحوم المجلسي في آداب زيارة أهل القبـور عن محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام:

«قال: قلت لأبي عبدالله(ع): نزور الموتى؟.

فقال(ع): نعم...

قال: قلت: فأي شيء نقول إذا أتيناهم؟.

قـال(ع): قـل: «اللهم جـاف الأرض عن جنـوبهم، وصـاعـد إليـك أرواحهم، ولقّهم منـك رضـوانـاً، وأسكن إليهم من رحمتـك مـا تصـل بـه وحدتهم، وتؤنس به وحشتهم، إنك على كل شيء قدير»[1].

إن المـراد من عبـارة «جـاف الأرض عن جنـوبهم» في هـذا الحـديث

(١) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٣٠٠ الحديث ٢٦.

الشـريف هو التـوسعة عليهم من حيث المقـام والرتبـة في عـالـم البـرزخ كمـا فصّلنا الحديث في ذلك في الفصل الرابع من القسم الأول من الكتاب.

٢ ـ وورد أيضاً في ذلك الكتاب عن كامل الزيـارة عن سعدان بن مسلم البطائني:

«. . . عن أبي بصيـر، عن أبي عبـدالله(ع) قـال: يخـرج أحـدكم إلى القبور فيسلّم فيقول: السلام على أهل القبـور، السلام على من كـان فيها من المسلمين والمؤمنين، أنتم لنا فرط، ونحن لكم تبـع، وإنّا بكم لاحقـون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، يا أهل القبور بعـد سكنىٰ القصور، يـا أهل القبـور بعد النعمة والسرور، كيف وجدتم طعم الموت؟.

ثم يقول: «ويل لمن صار إلى النار» فيهريق دمعته ثم ينصرف»[1].

٣ ـ وذكر أيضاً المرحوم المجلسي عن سيد الشهداء عليه السلام:

«وروي عن الحسين بن علي(ع) قـال: من دخل المقـابر فقـال: اللهم ربّ هذه الأرواح الفانية، والأجساد البالية، والعظام النخرة، التي خـرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة، أدخل عليهم روحاً منك وسلاماً منّي. . .

وهذا دعاء علي أمير المؤمنين عليه السلام لأهل القبور:

بسم الله الـرحمن الرحيم، السـلام على أهل لا إلـه إلا الله من أهل لا إله إلا الله، يا أهل لا إله إلا لله، بحق لا إله إلا الله، كيف وجدتم قول لا إله إلا الله، من لا إلـه إلا الله، يا لا إلـه إلا الله، بحق لا إله إلا الله، اغفـر لمن قال: لا إله إلا الله، واحشرنا في زمـرة من قال: لا إلـه إلا الله محمد رسـول الله علي ولي الله.

فقال علي(ع): إني سمعت رسول الله(ص) يقول: من قرأ هذا الدعـاء

(١) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٢٩٩ الحديث ٢٣.

أعطاه الله سبحانه وتعالى ثواب خمسين سنة، وكفّر عنه سيئات خمسين سنة، ولأبويه أيضاً»[1].

نلاحظ في هذه الأحاديث الثلاثة أنها تتحدّث عن زيارة أهل القبور في مقبرة عامة، وآداب الزيارة، أما ما يختص بزيارة قبرٍ من قبور المؤمنين فهو ما يرد في هذا الحديث الرابع:

٤ ـ ذكر المرحوم المجلسي عن مصباح الزيارة:

«إذا أردت زيارة المؤمنين فينبغي أن يكون يوم الخميس، وإلا ففي أي وقت شئت، وصفتها أن تستقبل القبلة وتضع يدك على القبر وتقول: اللهم ارحم غربته، وصل وحدته، وآنس وحشته، وآمن روعته، واسكن إليه من رحمتك رحمة «يستغني بها عن رحمة من سواك، والحقه بمن كان يتولّاه.

ثم اقرأ: ﴿**إنّا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ سبع مرات[2].

وبملاحظة هذه الأحاديث الأربعة نسجل عدة نقاط:

أ ـ كان في هذه الأحاديث الأربعة الحديث الرابع فقط قد تعرض لوقت الزيارة وجعلها ـ عند الإمكان في يوم الخميس، أما في الأحاديث التي ذكرناها في الفصل الأول من هذا القسم في فصل (مشروعية زيارة أهل القبور) أن الوقت المحبّذ هو عصر يوم الخميس، وصبح يوم السبت أيضاً، وينبغي أن نعلم أن زيارة أهل القبور كزيارة قبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام ليس له وقت معيّن، وعلى الأخص ما ورد في الحديث الرابع من قول الإمام عليه السلام: «وإلا ففي أي وقت شئت».

ب ـ إن الدعاء عند قبور المؤمنين وزيارتهم لا ينحصر بما ذكرنا إلا أنه من الأفضل أن نزورهم بالزيارة العامة المذكورة أعلاه، أما القبور الخاصة

---

(١) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٣٠٠ الحديث ٣١.

(٢) بحار الأنوار ج١٠٢ ص ٢٩٩ حديث ٢٥.

كقبور الوالدين والأقرباء فإن قراءة السور القرآنية وعلى الأخص سورة ياسين لها ثواب وفضيلة أكثر.

ج ـ يستفاد من الحديث الثاني من هذا الفصل وأحاديث أخرى كثيرة أن الإنسان يجب أن يترك المقبرة بعد انتهاء الزيارة، ولا يبقىٰ ليلاً فيها، وخصوصاً لما ذكرنا في الفصل الثاني من القسم الأول في فقرة(د) من قصّة أم الشهيد وزيارته لولدها الشهيد.

وعلى كل حال من الأفضل ترك الأموات ليلاً ليستطيعوا أن يذهبوا إلى المقامات والمنازل المعدّة لهم في عالم البرزخ ويستفيدوا منها.

الفصل العاشر

البكاء والنوح على الأموات

إن الباعث في كتابة هذا الفصل هو وجود التساؤلات الكثيرة حول مجالس العزاء والبكاء على الأموات، وسنشير في جواب ذلك إلى مجموعة من الروايات:

١ ـ ذكر المرحوم المجلسي في بحار الأنوار عن دعائم الإسلام.

«وعنه(عليّ) عليه السلام قال: بكىٰ رسول الله(ص) عند موت بعض ولده، فقيل له: يا رسول الله(ص)، تبكي وأنت تنهانا عن البكاء؟.

فقال(ص): لم أنهكم عن البكاء، وإنما نهيتكم عن النوح والعويل، وإنما هي رقّة ورحمة يجعلها الله في قلب من يشاء من خلقه، ويرحم الله من يشاء وإنما يرحم من عباده الرحماء»(١).

٢ ـ وذكر أيضاً المرحوم المجلسي في البحار عن مُسكّن الفؤاد عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنه قال:

«... قال: أخذ رسول الله(ص) بيد عبد الرحمن بن عوف فأتىٰ

(١) بحار الأنوار ج٨٢ ص ١٠١.

إبراهيم وهو يجـود بنفسه، فـوضعه في حجـره، فقال: يـا بني، إني لا أملك لك من الله شيئاً.

وذرفت عيناه فقال لـه عبد الـرحمن: يا رسـول الله(ص)، تبكي؟ أو لم تنه عن البكاء؟.

قال(ص): إنما نهيت عن النوح؛ عن صوتين أحمقين فاجرين: صـوت عند نِعَمٍ، لعب ولهو ومزاير شيطان، وصوت عند مصيبة، خمس وجـوهٍ وشقّ جيوبٍ ورنّة شيطان، وإنما هذه رحمة.

ثم قال(ص): ما كان من حزنٍ في القلب أو في العين فإنما هو رحمة، وما كان من حزن باللسان وباليد فهو من الشيطان»[1].

٣ ـ وذكـر المرحـوم المجلسي عن معاني الأخبـار عن ابن أبي المقدام عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«قال: إن رسول الله(ص) قال لفاطمة(ع): إذا أنا مت فلاتخمشي عليّ وجهاً، ولا ترخي عليّ شعراً، ولا تنادي بالويل، ولا تقيمي عليّ نائحة»[2].

٤ ـ وروى المرحوم الشيخ الكليني عن جابر بن عبدالله الأنصاري:

«... عن أبي جعفر(ع) قال: قلت له: ما الجزع؟.

قال: أشدّ الجزع الصراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصـدر، وجزّ الشعر من النواصي، ومن أقام النوحة فقد ترك الصبر، وأخذ في غير طـريقه، ومن صبر واسترجع وحمد الله جل ذكره فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجـره على الله عز وجل، ومن لم يفعل ذلك جـرىٰ عليه القضـاء وهو ذميم، وأحبط الله أجره»[3].

(١) بحار الأنوار ج٨٢ ص ٩٠ الحديث ٤٣.
(٢) بحار الأنوار ج٨٢ ص ٧٦ الحديث ١١.
(٣) الكافي ج٣ ص ٢٢٢ الحديث ١.

٥ ـ وكـذلك ذكـر المرحـوم المجلسي عن دعـائم الإسـلام عن الإمـام الصادق عليه السلام:

«أنـه(ع) أوصىٰ عندمـا احتضـر فقـال: لا يُلطمنّ عليّ خـدّ، ولا يُشقنّ عليّ جيب، فمـا من امرأة تشقّ جيبهـا إلاّ صـدع لهـا في جهنّم صـدع كلّمـا زادت زيدت»[1].

٦ ـ وروى المرحوم الشيخ الكليني عن السكوني:

«. . . عن أبي عبدالله(ع) قال: قـال رسول الله(ص): ضـرب المسلم يده على فخذه عند المصيبة إحباط لأجره»[2].

وهناك عدّة نقاط ينبغي التوقف عندها بما يتعلّق بهذه الأحاديث الست:

أ ـ ورد في الحـديثين الأولين جواز البكـاء على الأموات لأن رسـول الله صلّىٰ الله عليـه وآله ذكـر في الحديث الأول أن البكـاء علامـة للرقّة والـرحمة وهما من ألطاف الله على عباده.

ب ـ إن فقـدان الإنسان يؤدي بـطبيعـة الحـال إلى احتـراق القلب لأنـه سوف لا يراه بعد ذلك، وهذا يسبب جريان الدموع، فالبكاء الطبيعي أمـر غير اختياري، وبالتالي ليس مذموماً ولا يوجب سقوط الأجر الأخروي.

ج ـ لقد صرح رسول الله صلى الله عليه وآلـه في الحديثين الأولين أنـه بـالنهي عن النوح والعـويـل، وذكـر في الحـديث الثـاني أن النـوح والعـويـل يترافقان مع الأصوات الشيطانية، وهو ما كـان سائـداً في عرب الجـاهليّة قبـل الإسلام فإنهم كانوا يجتمعون حول بعضهم ويقرأون أشعاراً ويقولون كـلاماً لا يُـرضي الله عز وجـل، ويخمشون وجـوههم، ويضربـون صدورهـم، وينشـرن نساؤهم شعورهن، ويمزّقن ثيابهن، ولـذا نهىٰ رسول الله صلى الله عليـه وآله

---

(١) بحار الأنوار ج٨٢ ص ١٠١ الحديث ٤٨.
(٢) الكافي ج٣ ص ٢٢٤ الحديث ٤.

بصراحة تامة عن ذلك دون أن ينهىٰ عن البكاء بشكل عادي وطبيعي، فإن تلك الأعمال وتلك الأصوات من الشيطان.

وقال في الحديث الثاني أن الحزن الذي في القلب والعين هما من الرحمة، أما الحزن الذي يجري الأثر على اللسان وبالأيدي فهو من عمل الشيطان.

وفي الحقيقة أن الإنسان عندما يفقد عزيزاً له فإنه يحزن لذلك فإن ظهر أثر الحزن على القلب والعين ـ أي بالبكاء ـ فهو عمل رباني، أما إن جرت علامات الحزن على اللسان وعلى اليد فينوح بلسانه، ويضرب على رأسه ووجهه وركبتيه بيده، فإن هذا عمل قبيح لا يرضاه الله عز وجل، وهو من عمل الشيطان، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديث السادس: ضرب المسلم يده على فخذه عند المصيبة إحباط لأجره.

د ـ إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهىٰ في الحديث الثالث فاطمة الزهراء سلام الله عليها أن تخمش وجهها لفقده، وهو خير الكائنات، ولا ترخي شعرها، ولا تنادي بالويل، ولا تقيم عليه النائحة، أما البكاء بدون ذلك فلم ينهاها عنه.

هـ ـ وكذلك نهى الإمام الباقر عليه السلام في الحديث الرابع عن الجزع وعرّفه بأنه الصراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر، وجزّ الشعر من النواصي، وإقامة النائحة.

وكذلك الإمام الصادق عليه السلام في الحديث الخامس فقد أوصىٰ عند احتضاره أن لا يُلطم علي خدّ، ولا يشقّ عليه جيب، فإن ذلك يوجب دخول جهنم للنائحات، ومذهب للأجر والثواب.

وبناء على ذلك فإن النياحة علىٰ الأموات عمل مرفوض من قبل الإسلام، ومذموم وموجب لحبط الأعمال.

و ـ هناك سؤال يتعلق بأرواح الأموات فهل تتأذىٰ من النياح وما نهي عنه في الأحاديث الشريفة أو لا؟.

إن الآية الشريفة التي تقول: «ولا تزر وازرة وزر أخرى» تنفي أي ارتباط بين هذه الأعمال وبين الميت، ولا يقع وزر هذه المنكرات إلا على أصحابها.

وهذا لا ينفي أن البكاء الشديد يؤذي روح الميت لا من جهة أن هناك ارتباط بين هذا العمل وبينه من الناحية التكليفية، بل من حيث أن الميت لو كان مطّلعاً ومشرفاً على أعمال أقربائه ومحبّيه ويجدهم يعيشون هذا الهمّ والغمّ والحزن فإنه سيتأذىٰ وهو في عالمه الخاص، ويمكن أن يبعث لهم تنبيهاً على ذلك، وهو ما نجده في رؤيا صادقة نجعلها آخر قصة في هذا الكتاب، وهي:

لقد توفي شخص منذ مدة وبقيت زوجته تبكي كثيراً وتتساءل عن علة تركه لها، فجاء إلى أحد الجيران في عالم الرؤيا وحمّله رسالة إلى زوجته تقول: إني لم أذهب باختياري، فلماذا كل هذا البكاء وهذا التساؤل عن تركي لك؟!.

هذه الرؤيا تُضمّ إلى مجموع ما ذكرنا من رؤى في الفصل العاشر من القسم الأول من الكتاب.

والسلام على عباد الله الصالحين ورحمة الله وبركاته

التاريخ: الثلاثاء ـ الأول من شهر رمضان المبارك ـ ١٤١٣

قم ـ محمد مظاهري

الفهرس







دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ص.ب: ١٤/٥٤٧٩